دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

تجليات التاريخ والذاكرة
بين أميرة قاجارية ومستشرقة أوروبية

محبوبة مجيدزادة
باحثة دكتوراه في التاريخ الإيراني
معهد الدوحة للدراسات العُليا
الدوحة – دولة قطر

مُلَخّص

عُرف عصر الدولة القاجارية بديناميكية في مصادره التي لا تزال في مرحلة الكشف والظهور كالوثائق الأولية والصور الفتوغرافية والمذكرات الشخصية، والتي ساهمت في المحافظة على ذاكرة الزمن، ومن هنا تأتي أهمية الاستعانة بالمذكرات للباحث في التاريخ الاجتماعي في سياق البحث عن مصادر بديلة، فقد استأثرت قضية الذاكرة والتاريخ العديد من الحقول الاجتماعية والإنسانية. وانطلاقًا من ذلك، ستجول هذه الدراسة في نوعين من الذاكرات النسائية ذات المنعطف الفردي الدرامي في إطار حكم شاهي، غير أنها تحمل مضمونًا اجتماعيًا ومن زاويتين متباينتين خارجية (غربية) متمثلة في ذاكرة مدام كارلا سيرنا الرحالة الأوروبية لبلاد فارس، وداخلية (أميرة داخل البلاط القاجاري نفسه) متمثلة في ذكريات تاج السلطنة الأميرة القاجارية المتمردة، وهي أحد السير الذاتية الهامة الباقية من العصر القاجاري. عبر قراءة تحليلية فاحصة لمذكراتهما التي تُعَدّ مصدرًا غنيًا في الدراسات التاريخية تعيننا على استكشاف الحياة الاجتماعية في بلاد فارس في القرن التاسع عشر بعدسة نسائية، مع الانتباه لاشتغالات هذين النوعين من الذاكرة ورهافة في التحليل تتناسب مع نوع المجتمع، لنستكشف علاقة الذاكرة بالتاريخ وفعل الذاكرة وتجلياتها في مروياتهما، محاولين التقاط أهم الصور التي سجلتها كل من الذاكرتين، ومقارنة هذه الصور ببعضها سواء بالنسبة لحياة القصر (الحريم) أو بالنسبة للمجتمع الإيراني (آنذاك). ودراسة مدى المسافة التي أخذتها كل منهما بين الذاتية والموضوعية في كتاباتهما. فكما يقول المفكر الفرنسي Paul Ricœur بول ريكور (١٩١٣–٢٠٠٥)، "الذاكرة تقودنا مباشرة إلى التاريخ لأنها هي الحاملة الأولى للتاريخ ولولاها لما كان هناك من علم لكتابة التاريخ".

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	١٣	أكتوبر	٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر:	١٨	ديسمبر	٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

المذكرات والسير الذاتية؛ الحريم؛ الدولة القاجارية؛ ناصر الدين شاه القاجاري؛ كارلا سيرنا

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2024.328065.1172

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

محبوبة مجيدزادة، "تجليات التاريخ والذاكرة بين أميرة قاجارية ومستشرقة أوروبية".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد التاسع والستون؛ يونيو ٢٠٢٥. ص ٣٨ – ٥٩.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: mmajeedzadeh@yahoo.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

يُعَدّ موضوع الذاكرة من الانشغالات الفكرية التي أثيرت حولها الكثير من التساؤلات بين المشتغلين في ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولعل الإشكالية المحيرة هي الصلة ما بين الذاكرة الفردية وما يرافقها من صعوبات التذكر والنسيان والإدراك واللاوعي، وبين غياب الذاكرة الجماعية أو نسيانها الإرادي بين الشعوب والأمم، والآليات التي يمكن أن تؤثر في الفاعلين[١]. وقد كانت الارهاصات الأولى لموضوع الذاكرة مع الإغريق الذين اعتبروا الذاكرة إلهة أوصت البشر بتذكر الأبطال ومآثرهم، بينما كانت الذاكرة عند كل من أفلاطون وارسطو مرتبطة بالنفس في الفلسفة اليونانية[٢].

واليوم يرى علماء النفس أن للذاكرة وظيفة نفسية مبنية على استرجاع حالة شعورية من الماضي، وعلى القدرة على التمثل الانتقائي في أحد منظومات الذاكرة حول معلومة معينة؛ تم تخزينها بطريقة منظمة لتسهل آلية إعادة انتاجها في المستقبل تحت ظروف محددة [٣]. وتتبلور عملية التذكر في مستويين الأول هو فعل آني ومجرد لم يفكر فيه المتذكر أو يعقله، والمستوى الآخر متمثل في فعل ممتد في الزمان يربط ما سبقه بما يليه[٤]. وقد درس الفلاسفة مفهوم الذاكرة من منظور اجتماعي فطبيعة الذاكرة عندهم اجتماعية وليست فردية، فجميع الذكريات تُحفظ في ذاكرة الجماعة، وكل فرد له تاريخ وتراث مشترك كونه عضو في الجماعة يستعين بها لاسترجاع الذكريات، فالذاكرة تقوم بتوظيف الماضي من اجل الحاضر والمستقبل[٥].

وتبعهم المؤرخون في هذا المضمار، فقد شهد التاريخ تبدلات عميقة وتحولاً كبيرًا على مستوى المعرفة التاريخية، وتمثل ذلك في حضور الذاكرة في الحقل التاريخي الذي بدأ يتسع نطاقه. وكثر الحديث في الآونة الأخيرة حول قضية الذاكرة وارتباطها بالتاريخ والعلاقة الجدلية بينهما، فهناك من يرى أن الذاكرة ترتكز على التاريخ فهي من تمده بالمعطيات وأن التاريخ وقوف على الذكريات. فيما يرى البعض الآخر استحالة التقاءهما فلكل منهما حقل اشتغال خاص به، فمفهوم الذاكرة من المفاهيم الغامضة والأكثر التباسًا لارتباطها بالكثير من المجالات [٦].

وعلى الرغم من أن الذاكرة والتاريخ مرادفان متعايشان يتفقان في حفظ الماضي واستحضاره، إلا أن ذلك لا يلغي خصوصية كل منهما، فالذاكرة تنطلق من شبكة من الحواس والعواطف والمرويات، بينما يُعد التاريخ عنصرًا أساسيًا وهو مطلب انساني للبشر يرتكز على العقل في ضوء التراكمات النظرية، واستنطاق متن الكتابات الذاكرية[٧]. فساهم هذا الوعي بالتمايز بين الذاكرة والتاريخ إلى حضور كثيف للذاكرة في اشكال متباينة من الكتابات كاليوميات والمذكرات الشخصية التي تتناول التجارب الفكرية والسياسية والانطباعات الذاتية التي اختبرها المتذكّر، والسير الذاتية التي تناولت وقائع الحياة العامة التي عايشها المتذكّر أو كان شاهدا عليها [٨].

وتُعَدّ المذكرات وكتب أدب الرحلات البعيدة مصدرًا غنيًا بما تحويه من نصوص تزود المؤرخ بمعطيات وتفاصيل تساعده على فهم مجريات الحياة اليومية، ورصد التغييرات التي يتعرض لها مجتمع ما[٩] ؛ فالرحالّة يحرص على تدوين كل ما يراه عن طبائع المجتمعات البعيدة فينقل لنا صورة عن الحكام والناس ومشاربهم ومستوياتهم، والقيم السائدة في إطار زمني محدد[١٠] ، ويمدنا بتفاصيل هامة ومفصلية في بعض القضايا التي قد لا يلتفت المؤرخ المعاصر لها باعتبارها أمرًا بديهيًا في سياق الحدث التاريخي؛ كالعادات والتقاليد وسلوكيات المجتمعات، محاولا استنباط الحاضر من ملامح الماضي فتمتزج القراءتان في هيئة واحدة للإنسان[١١].

ولقد ظل التاريخ التقليدي لمدة طويلة من الزمن يُدون انطلاقا من المركز بهدف إبراز الأدوار التي تقوم بها الطبقة الحاكمة والنخب السلطوية، فاحتكر تاريخ السلالات الحاكمة تواريخ الأمم والشعوب. ولكي يتسنى للباحث رؤية الصورة متكاملة وفهم الاختلاف لابد أن ينطلق من المركز إلى الأطراف ونحو الهوامش ليرتاد أركان الماضي حتى تتقاطع زوايا النظر المتعددة فتتصهر كاشفة عن جوانب خفية للموضوع. ومن هنا تأتي أهمية استنطاق الكتابات الذاكرية بما تحويه من روايات شفوية

تسد ثغرات التاريخ التقليدي وتساعد بإعادة المنسيين في التاريخ والاستماع لأصوات المهمشين المكتومة في الماضي[١٢]. وقد ظل تاريخ النساء إلى زمن قريب مقصي في ذاكرة النسيان على الرغم من أنه لم يكن بعيداً عن قلب الأحداث والوقائع، فبات على هامش التاريخ.

أهمية الدراسة

استقبلت بلاد فارس الكثير من الرحالّة الذين جذبتهم حكايات الشرق وقصص ألف ليلة وليلة حيث امتزجت فيها الخرافة بالأسطورة والأحلام بالواقع فأسهمت في خلق صور رومانسية وعوالم غرائبية باتت مكمنا للخيالات الخصبة عن الشرق، فشدوا اليها الرحال في محاولة لاكتشاف آخر مختلف. فظهر العديد من كتب أدب الرحلات والمذكرات، التي تناول فيها أصحابها تفاصيل تلك الرحلات وعادات الشرق. من هذا المنطلق ستجول هذه الدراسة في ذاكرة مدام كارلا سيرنا Carla Serena (١٨٢٤-١٨٨٤) الرحالة الأوروبية القادمة من الغرب لاكتشاف بلاد فارس، عبر قراءة تحليلية فاحصة لمذكراتها ومشاهداتها في بلاد فارس لنستكشف علاقة الذاكرة بالتاريخ في مروياتها، ومدى اطلاعها على تفاصيل الأحداث والتزامها بالموضوعية والحيدة في سرد مذكراتها ودون المساس بجوهرها الذاتي من ناحية.

ومن ناحية أخرى سنسعى لتسليط الضوء على ذكريات الأميرة القاجارية زهرا خانم تاج السلطنة (١٨٨٣-١٩٣٦) وهي أحد السير الذاتية الهامة الباقية من العصر القاجاري. عبر تفحص مذكرات كل منهما بوصفها أداة للتحليل التاريخي ومصدراً للتاريخ الاجتماعي، محاولين سد النقص في الدراسات حول العصر القاجاري عامة والمرأة في الدولة القاجارية بشكل أساسي، والمرور على بعض التقاطعات في ذاكرة كل منهما، والتوقف عند عدد من المحطات باعتبارها محطات أساسية في السرد التاريخي.

مشكلة الدراسة

تسعى هذه الدراسة للإجابة على سؤال رئيسي هو ما حدود التقابل والاختلاف في الصورة التي قدمتها كل من مدام كارلا سيرنا والأميرة تاج السلطنة عن الحريم خلال حكم ناصر الدين شاه القاجاري؟ [١٣] وكيف تمثّلت ذاكرة مدام كارلا سيرنا الآتية من عالم الغرب والحريات المرأة في العصر القاجاري؟ هل قدمتها في صورة منمطة أم أنها التزمت بما شاهدته دون التأثر بمخيالها؟ وكيف استحضرت كل منهما المهمشين في المجتمع؟ هل استحضرن الشخصيات من الذاكرة أم استعرن ذاكرة الماضي لإحياء الحاضر وبناء المستقبل؟ وكيف فسرنّ ضعف الدولة وانتشار الفساد فيها؟[١٤]

وبطبيعة الحال تتفرع من هذه الأسئلة أسئلة أخرى جوهرية هي: كيف تمكنت مدام كارلا سيرنا من النفوذ إلى عالم الحريم الغامض ونقل ذاكرة النساء التي لطالما ظلت مهمشة؟ وكيف تمثلت تاج السلطنة ذاكرة الماضي كموضوع للتاريخ؟ وهل كانت لها وجهة نظر خاصة؟ هل استخدمت الذاكرة كأحد المفاتيح لاختراق جدار الصمت والعزلة المفروضة على النساء في تلك الحقبة؟ وهل التزمت كل من مدام كارلا وتاج السلطنة بالحد الفاصل بين الذات والموضوعية في كتاباتهما؟ وكيف استحضرتا الأحداث والشخصيات في ذاكرتيهما؟

فرضية الدراسة

تفترض الدراسة أن استنطاق الكتابات الذاكرية من العهد القاجاري بما تحويه من روايات شفوية، يمكن أن تزود الباحث بمعطيات تعد بمثابة قاعدة يبني عليها اشكالاته البحثية، فتسد بذلك ثغرات التاريخ التقليدي وتساعد بالكشف عن دور النساء والاستماع لأصواتهن التي لطالما ظلت في طي الكتمان. بناء على ذلك نسعى للتعرّف على كل من مدام كارلا سيرنا والأميرة تاج السلطنة، وكيف رسمتا المجتمع الفارسي وصورتا المحيط الاجتماعي في بلاد فارس في القرن التاسع عشر الميلادي خلال فترة حكم ناصر الدين شاه القاجاري [١٥]. وكيف تناولت ذاكرة كل منهما بعض القضايا والأحداث اليومية التي كانت إما شاهداً عليها أو كان لها دور فيها، لنتحصل على استبصارات جديدة ونتطلع على صفحات نادرة من تاريخ بلاد فارس السياسي والاجتماعي والفكري.

المنهجية المتبعة في البحث

هي مقاربة تمزج ما بين السرد التاريخي والمنهج النقدي التحليلي عن طريق طرح النصوص ومناقشة مضامينها بموضوعية، والوقوف على أوجه التوافق والتباين في طريقة نقل الخبر واستحضار عقل المتذكر والشاهد للأحداث، وذلك بمقابلتها بالنصوص الواردة في المصادر والمراجع التاريخية المعاصرة التي تناولت هذه الفترة ومصادر ديناميكية أخرى تميز بها العصر القاجاري متمثلة في المتون المرئية.

قبل الشروع في تحليل المذكرات وكخطوة منهجية أولى لابد من التعرّف على كاتبة المذكرات والاحاطة الدقيقة بشخصيتها وموقعها ودورها في الأحداث. سنستهل البحث بنبذة مختصرة عن كل شخصية وخلفيتها الاجتماعية والثقافية، وأهمية المذكرات التي كتبتها، ثم في المحور الثاني سنمعنّ النظر في عدد من القضايا والأحداث التي نقلتها الكاتبتان ورؤية كل منهما. فمن هي مدام كارلا سيرنا ومن هي الأميرة تاج السلطنة؟

أولاً: مدام كارلا سيرنا (١٨٢٤-١٨٨٤)

ولدت كارلا سيرينا Carla Serena عام ١٨٢٤ في بلجيكا باسم كارولين هارتوغ مورجينستين، وتزوجت من أحد تجار البندقية الذي تعرض للنفي هو وأسرته نتيجة لنشاطه السياسي المناهض للحكم النمساوي، فاضطرت سيرنا وأسرتها للتنقل بين عدد من المدن الأوروبية إلى أن استقروا في انجلترا عام ١٨٥٠[١٦]. وقد تميزت سيرنا بنشاطها الاجتماعي فكانت تعقد صالونا في منزلها كل أسبوع يحضره نخبة من أبناء المجتمع من الإيطاليين والبريطانيين، وعلى الرغم من مشاغلها الأسرية كونها زوجة وأما لخمسة أبناء إلا أنها تمكنت من تخصيص جزء من وقتها لممارسة الكتابة ونشرت عددا من المقالات في صحيفة Précurseur. وفي عام ١٨٧٣م تم اختيارها لتمثيل الصحيفة في المعرض العالمي المقام في فيينا والذي تمحور موضوعه حول الثقافة والتعليم. فبات المعرض نقطة تحول في حياتها، فعقدت العزم بعد عودتها على مغادرة لندن وقد تجاوزت حينها الخمسين من عمرها، فحمّى الطماح دفعتها للقيام برحلة بهدف ارتياد مجالات مجهولة، وقد امتدت رحلتها لأكثر من خمس سنوات تنقلت خلالها بين عدد من المناطق في الشرق مثل مصر والمدينة المقدسة وتركيا وجورجيا والقوقاز وأخيرا بلاد فارس عام ١٨٧٧. تقول سيرنا في نهاية رحلتها: "قبل السفر، كانت اهتماماتي محصورة بالاطلاع والتعرّف على نساء من العالم نادرا ما خرجّن من محيطهنّ الضيق، أما اليوم وبعد هذه الرحلات تغيرت نظرتي وانحصر اهتمامي بتدوين مشاهداتي"[١٧]. وقد نشرت سيرنا العديد من المقالات العلمية في مجلات متخصصة وصفت فيها الناس وطبائعهم وصورت الأمكنة والطبيعة الجغرافية لتلك المناطق. وبعد عودتها استُقبلت بحفاوة في أوروبا وأهداها ملك إيطاليا ميدالية ذهبية تقديرا لجهودها وانجازاتها. وقد استندت في رحلتها وكتاباتها على مصادر من مذكرات وكتب أدب الرحلات لمن سبقوها مثل الرحالة الفرنسي شاردان [١٨] Jean Chardin (١٦٤٣ – ١٧١٣) وكتاب الجغرافيا لكارل ريتر (١٧٧٩-١٨٥٩) Carl Ritter .

ويجدر بالذكر أن أهمية مشاهدات سيرنا في رحلتها لبلاد فارس تنبع من عدة أسباب في مقدمتها كونها أول امرأة غربية تقوم برحلة للشرق على نفقتها الخاصة؛ فلم تكن مرافقا لسفير أو ضمن مجموعة مستشرقين قدموا الشرق لغايات معينة أو في مهمة رسمية مع مجموعة منظمة محدودة [١٩]. ولم يرافقها سوى مرشد، وقد تحملت مشاق السفر وتجشمت مخاطر الطريق ووعورته، وغامرت بسلك طرق برية غير معبدة على ظهر الخيل أو في عربات قديمة الطراز، وفي أحيان كثيرة توجب عليها السير على الأقدام وتحمل البرد والرياح والعواصف فضلا عن قطاع الطرق وعلى وجه الخصوص في رحلة العودة من العاصمة طهران إلى مدينة رشت على الأراضي الفارسية، وتميزت سيرنا بحضور الذهن وقدرتها على التواصل اليومي والتفاعل الاجتماعي العفوي فترددت على الأسواق وتحدثت مع التجار وزبائنهم، ونجحت في الحصول على الكثير من الأخبار التي كانت تتناقلها أفواه الخادمات والجواري خلال ارتيادهن للسوق وتجاذبهن لأطراف الحديث مع الباعة. وكانت متواضعة فلم ترفض الإقامة في منازل

القرويين النائية التي لا تتوافر فيها سوى سبل راحة محدودة[٢٠]. فاكتسبت ثقة الناس وبرعت في استعارة ذاكراتهم لتروي لنا في مذكراتها عن صور الحياة اليومية لعامة الناس وما يمس حياة الجموع المجهولة أو من يُطلق عليهم الدهماء، فكانت ذاكرة مبدعة وغنية ومؤلمة ومثيرة للدهشة في الوقت ذاته، تدمج في الذكريات ذاتها أحداثا مختلفة ويمكن أن تُثري في الحين نفسه ذكريات متعاقبة.

وحظيت سيرنا بفرصة لقاء ناصر الدين شاه القاجاري (والد الأميرة تاج السلطنة) لأول مرة في رحلته الأولى لأوروبا عام ١٨٧٣م[21]. وخلال رحلتها لبلاد فارس أتيحت لها الفرصة للقائه مرات عدة، وقد امتلكت كارلا ذاكرة شديدة الملاحظة تمكنت عبرها من رصد أهم السمات الشخصية لناصر الدين شاه القاجاري ذو الحظوة والمكانة، إذ نعتته بالشخصية المتناقضة "فهو انسان خجول وللتغلب على هذا الضعف يتحدث بنبرة سريعة وبأسلوب فظ وبشيء من الغلظة"، يتقاطع وصف سيرنا مع السمات الذي ذكرها أمين الدولة عن الشاه في مذكراته "تمتع ناصر الدين شاه بجمال الخَلق كل من يراه يدرك أنه ولد ليكون ملكا، أحد سماته الحياء الذي يزيد من وقاره، وكان يتحدث بلحن غليظ وسريع ليرُهب من أمامه" [٢٢]. وقد استحضرت سيرنا كوكبة من القصص والمرويات عن الشاه المهاب المكروه بآن واحد، فكان بمثابة المركز في مذكراتها تبدأ منه أو تنتهي إليه أو تتمحور حوله الذاكرات. وقد صادف تواجدها خلال الاحتفالات بالذكرى الثلاثين لاعتلاء الشاه عرش المملكة.

ومن الملفت للنظر اهتمام سيرنا بعدم خلط الأوراق وتوخي الموضوعية في مذكراتها والبعد عن الذاتية، وهذا ما ذكرته في مقدمتها، فقد سعت لفتح آفاق جديدة للقارئ الغربي الذي يرغب في التعرّف على عادات وطبائع وخصائص الشعوب في الشرق أكثر من الاطلاع على أخبارها الخاصة. بيد أن الأحداث العجيبة التي لازمت رحلتها في بلاد فارس دفعتها إلى كتابة سيرة ذاتية تُفرّغ فيها تلك الذاكرة وعنونته بـ "امرأة أوروبية في بلاد فارس"[٢٣]. لذا زعمت في مقدمتها أنها اتخذت مسافة بينها وبين المواضيع التي كتبت عنها في مذكراتها وآثرت الابتعاد عن الذاتية في الخطاب الذاكري واستغلال الأحداث للظهور العلني وتضخيم دور الذات[٢٤].

وقد اتسمت سيرنا بأسلوبها المميز في الكتابة حيث حرصت على اتباع الدقّة في الوصف والشرح، واقتربت من الناس العاديين في محاولة لفهم أفكارهم وعاداتهم وأعرافهم وطرق معيشتهم، فاختزلت ذاكرتها توليفة من الذكريات المتنوعة، الجميلة منها والقبيحة، الذاتية والجماعية ونقلتها إلينا عبر مسار رحلة امتدت بين المدن والقرى عايشت فيها سيرنا مختلف الفئات وطبقات المجتمع الإيراني آنذاك.

ثانيًا: تاج السلطنة (١٨٨٣-١٩٣٦)

أما تاج السلطنة فهو لقب الأميرة زهرا خانم ابنة ناصر الدين شاه القاجاري التي ولدت في طهران عام ١٨٨٣[٢٥]. والدتها هي توران السلطنة ابنة عم ناصر الدين شاه القاجار. وقد تم تعيين مربية (حاضنة) للاعتناء بها منذ ولادتها كعادة الأُسر الحاكمة في بلاد فارس. والتحقت بالكتّاب في سن السابعة، بيد أنها كانت طفلة لعوب ذات طباع سيئة ومتمردة وغير شغوفة بالعلم، فاعتادت على اعداد المقالب في معلمها حتى نجحت في اجباره على التخلي عن التعليم والاكتفاء بسرد القصص والحكايات، فلم تستكمل العامين حتى تركت الكتّاب. وفور بلوغها العام الثامن من العمر تم عقد قرانها على حسن خان الملقب بشجاع السلطنة، وهو ابن محمد باقر خان الملقب ب "سردار أكرم" أي القائد أكرم سليل أحد العائلات العريقة في بلاد فارس[٢٦]. وكانت ثمرة هذه الزيجة أربعة أبناء حُرمت منهم تاج السلطنة بعد أن انفصلت عن زوجها في الثامنة عشرة من عمرها، وقد حُمّلت ذاكرتها بوابل من الذكريات المؤلمة والمجروحة. عشقت الموسيقى فتعلمت العزف على البيانو في صغرها، وشَغُفت بالرسم والاطلاع على كتب الأدب والروايات وقراءة تاريخ الشعوب[٢٧].

وتنبع أهمية هذه المذكرات من شخصية تاج السلطنة ومكانتها الاجتماعية، إذ تستحضر فيها ذاكرة مشحونة بالغموض والشد والجذب؛ فتسرد سيرة حياتها الذاتية التي تُعد الوحيدة من نوعها لامرأة عاشت في "الإندرون"

الحريم الملكي، وتتحدى فيها التراث والتقاليد البالية؛ فتمكنت فيها ببراعة من تقديم توليفة من الذكريات مزجت بين وقائع حياتها الخاصة كامرأة من داخل منطقة الحريم دون مواربة، وأخرى ضمنية في هيئة انتقادات للبلاط ونظام الحكم لما شاع فيه من فساد، وللتقاليد القديمة البالية – من وجهة نظرها- التي أجبرت النساء على العيش في ظروف حرجة عنوانها التعسف والجور؛ ولم يقابلنه بالرفض بل بالخضوع، في فترة شهد فيها تاريخ بلاد فارس الكثير من المنعطفات ونسائم التعصير كما وصفت في مذكراتها.

وقد روت تاج السلطنة تمفصلات حياتها الخاصة ببراعة يعسر تعريفها، فكانت المؤلف والسارد والبطل في آن واحد، فتمحورت ذاكرتها حول الذات وكأنها ارادت للقارئ "ألاّ يرى وألاّ يسمع شيئا من مروياتها إلاّ من منظور ذاتها الفردية"[٢٨]. وكانت أول امرأة قاجارية تسافر إلى أوروبا دون محرم (مرافق)، فتمردت على الأعراف وعبّرت بحرية عن أفكار ورؤى وخواطر ومواقف عكست تطلعاتها نحو الحداثة الغربية، وكيف آمنت بالأفكار الوضعية فتبلورت شخصيتها وعاشت ازدواجية الهوية وتبنت القيم الغربية. وكرست حياتها لتحرير المرأة والدفاع عن حقوقها، فانقلبت على المجتمع وخلعت الحجاب وشاركت في ثورة المشروطة وكانت في طليعة المطالبات بإنصاف المرأة وتحريرها، ونادت بتعليم البنات وطالبت بالمساواة وعدالة النوع الاجتماعي[٢٩].

عُرفت تاج السلطنة بجمالها الباهر -حسب معايير الجمال المتعارف عليها في تلك الفترة- وبالذكاء الشديد، فتقول في مذكراتها "لقد منّ الله تعالى عليّ بكل ما هو جميل [...] بشرة بيضاء يعلوها مسحة من الحمرة [...] لم يكن هناك وجها أكثر جمالا وجاذبية من وجهي في الحريم الملكي" [٣٠]. واشتهرت بأفكارها الليبرالية، وأسلوب حياتها غير العادية التي تمردت فيها على البلاط الملكي في مجتمع مبدأه ثنائية الداخل والخارج، ويقدّس سلطة الرجل، ويحبس المرأة خلف عباءة الدين والتقاليد. وعلى الرغم من رفضها التعلم ومشاكلة معلمها في الصغر، بيد أنها أيقنت بعد بلوغها حافة الهاوية أن العلم هو طوق النجاة وبصيص الأمل. فانفتحت على العلوم والآداب الغربية بعد أن أتقنت اللغة الفرنسية وبنت ذاتها المعرفية [٣١]. وقد أثرت المظاهر والانتماءات الثقافية على طريقة كتابتها ورؤيتها، فاستحضرت جانبها التكويني ورصيدها المعرفي في مذكراتها، ومزجت ببراعة بين الأدب والرواية والشعر وأحاسيسها الخاصة، واستعارت أدوات الراوي في التدوين بلغة بلاغية وجمالية، والتصوير الفني للشخصيات في مذكراتها، وتمكنت ببراعة من استحضار ذاكرتها الأدبية عند تقديم الشخصيات للقارئ كما يفعل الراوي في الأعمال الأدبية ولاسيما الروايات الغربية، فمثلا تقول في وصف معلمها "إن له وجها حسنا ونبيلاً ومريحًا، وعينان سوداوان متفكران وحزينان، [...] وله أنف شبيه بمنقار النسر. كلما رأيته تستدعي ذاكرتي ما قرأته في تاريخ فرنسا عن عائلة الأمير دوكنديه Prince de Conde، الذين كانوا يوسَمون بذوي الأنوف الشبيهة بمنقار النسر"[٣٢].

شرعت تاج السلطة مذكراتها بشرح الحافز الذي دفعها للتفكير في تدوين سيرتها الذاتية، وذلك على إثر حوارها مع معلمها وابن عمتها الذي كان يوصيها بالاطلاع في التاريخ، فأجابته "هل تعتقد أنه ينبغي عليّ أن أشغل نفسي بأي نوع آخر من التاريخ، في حين تاريخي في الماضي والحاضر مثير ومفعم، فهو يحوي على الكثير من الوقائع والأحداث الحزينة منها والمفرحة، الا يكون استحضار تاريخ المرء أفضل اشتغال في هذا العالم؟" فأخبرها معلمها أن التاريخ لا يُعَدّ تاريخًا إلا إذا افاد الإنسانية إيجابًا أو سلبًا. لذا انكبت على أوراقها وقررت البدء في الكتابة استجابة لإلحاح معلمها فاسترجعت ذكرى الماضي بكل محتوياته من حزن وألم [٣٣]. وكأن الاستذكار لغاية مرتقبة واعلان ضمني بأنها ستمنح الأسبقية للمجال الخاص فعملية الكتابة عندها هي بعث ماضي ما تنتمي إليه في ذاتها، فغايتها تدوين تاريخها الشخصي بعد أن أصبح ذكرى في التاريخ العام الموضوعي [٣٤].

امتدت مذكرات تاج السلطنة من ولادتها عام ١٨٨٣ إلى أن بلغت التاسعة والعشرين من العمر، غطت فيها أحداث السنوات الخمس الأخيرة من حكم ناصر الدين شاه القاجاري إلى أن قُتل أثناء الاحتفال بالذكرى الخمسين لتوليه العرش حين كانت تبلغ من العمر اثنتي

عشر عاما، وفترة حكم أخيها مظفر الدين شاه (١٨٩٦-١٩٠٦) فحسب، حيث لم يتم العثور إلى اليوم على الجزء الثاني من مخطوطة المذكرات [٣٥].

اعتمدت تاج في مذكراتها على تذكر أحداث عاشتها مباشرة ونادرًا ما كانت تستعين بذاكرات أخرى، فسجلت وقائع وأحداثا شخصية مميزة في مراحل متباينة من عمرها، واستحضرت ذكريات طفولتها وتفاصيل الحياة اليومية مرورًا بالطقوس والاحتفالات في منطقة الحريم، فحملت لنا ذاكرتها تمثلات عقلية معقدة متمحورة حول وقائع مبهمة في ظاهرها بيد أنها متيسرة لها وحاضرة في ذهنها، فناولتنا أوصافًا وشروحات مختلفة للأحداث والفاعلين [٣٦].

ثالثًا: صورة المرأة في الدولة القاجارية

(تواشج ذاكرتي مدام كارلا سيرنا الأوروبية الغربية وذاكرة تاج السلطنة القاجارية الشرقية)

على الرغم من الأفكار السالفة في ذاكرة سيرنا حول النساء في بلاد فارس، بيد أنها لم تصدر أحكامًا مسبقة، وإنما بنت آرائها من واقع تجربة مُعاشة، بسعيها وراء الحقيقة بحثا عن التجربة الإنسانية في كل زمان ومكان، فساهمت في تقديم صورة عن المرأة في الدولة القاجارية متباينة عما قدمه الآخرون، إذ مزجت ما بين ذاكرتها الحاضرة والذاكرات المستعارة عند الاقتضاء حيث روت عن أحداث لم تكن جزءا منها ووقعت في الماضي البعيد فتحولت بذلك إلى شاهد سماع يروي ما قيل له[٣٧].

فقد اعتادت سرينا قضاء معظم يومها في السوق الذي اعتبرته مصدراً للأخبار، وتنقلت ذاكرتها بين حركة الناس من مختلف المشارب في ازدحام السوق، فقدمت لمحة رائعة عن التفاعلات الاجتماعية في المساحات التجارية النابضة بالحياة وتدفق المعلومات، والأخبار والقيل والقال، وروت كيف يتحدى الخدم ديناميكيات السلطة داخل الأسرة عبر النميمة التي وفرت لهم إحساسًا بالقوة، وكيف كان الباعة يتفاعلون مع المشتريات ويستنطقوهن ببراعة تشير إلى ديناميكية قوة أوسع. من خلال التحكم في وتيرة التفاعل، فربما اكتسب البائعون نفوذا على العملاء. والذي يتماشى مع فكرة فوكو عن مُمارسة السلطة من خلال التفاعلات اليومية. تلك التفاصيل الصغيرة والطريفة وأحيانا المبتذلة تمكننا من الولوج إلى زاوية من زوايا التاريخ المقصية، حتى نتجاوز روايات النخبة ونعيد بناء صورة أكثر دقة لتاريخ الحياة اليومية ترتقي نحو سطح المعرفة التاريخية.

فذكرت الكثير من الروايات التي تمكنت من سماعها من شهود العيان عبر تواجدها في السوق، على الرغم من أن ذلك لم يكن يسيرا في البداية فوجود سيدة أوروبية في المكان يدعو للريبة، لكن بعد مدة اعتاد الناس على وجودها واكتسبت ثقتهم فبدأوا في التفاعل معها.

إضافة إلى ذلك فإن لباقة سيرنا واطّلاعُها على ثقافة المجتمع الفارسي قبل الارتحال إليه، ورجاحة عقلها كانت المفاتيح التي فتحت لها الأبواب للولوج إلى عالم الحريم (الإندرون) [٣٨] والاطلاع على حياة النساء وأسرار الأميرات في البلاط الفارسي، وقد حضرت بعض الشخصيات النسائية بصورة لافتة في ذاكرة سيرنا ونالت أخبارهن عناية خاصة، فطريقتها في سرد الرواية ونقل أدق التفاصيل بما فيها الانطباعات ساهمت في ذكر كم كبير من التفاصيل الدقيقة عن عدد منهن مما يدل على مدى تأثرها بتلك الشخصيات وأحوالهن الغريبة. فنقرأ في مذكراتها حكاية الأميرة عزت الدولة الأخت الشقيقة لناصر الدين شاه -والذي كان يحبها ويقدرها- وحياتها المفعمة بالمآسي والأحداث، وكيف كانت أداة في يد الشاه، فمصيرها المحتوم كمصير باقي الأميرات في هذه الدنيا، لم تملك حريتها فأرغمت على الزواج في سن الثالثة عشر من عمرها بميرزا تقي خان الذي كان يكبرها سنا، فقد كان الصديق المقرب من الشاه الذي دعمه وأيده خلال الفترة الانتقالية للحكم، وأمن للشاه الحماية حين كان وليا للعهد إلى أن تم تنصيبه على عرش المملكة، فما كان من ناصر الدين شاه إلا أن قام بتعيينه في منصب الصدر الأعظم ولقّبه بأمير كبير.

احتفظت ذاكرة سيرنا بتفاصيل حكاية هذه الأميرة التي اصطدمت بمخيلتها الأوروبية الآتية من عالم الأنوار والحرية، فعلى الرغم من عدم رغبة الأميرة بهذا

الزواج في البداية غير أنها تآلفت مع زوجها حيث وجدته الإنسان المثقف المفكر الذي بنى نفسه بنفسه ليرتقي من الطبقة الدنيا إلى أعلى المراتب في المجتمع، فكان من أعظم رجال السياسة في بلاد فارس وقام بالعديد من الإنجازات والإصلاحات التي مازالت حاضرتاً في ذاكرة الجماعة. بيد أن ذلك لم يرق لأعدائه فنجحوا في اثارة حفيظة الشاه وتحريضه ضده وإيهامه بأن أمير كبير يسعى لانتزاع المُلك لنفسه ويخطط للجلوس على العرش، خاصة أنه تمكن من اكتساب محبة الناس بما قام به من إصلاحات فبات في نظرهم الحاكم الفعلي. فنجح أعداءه في التخلص منه ونفيه بعيدا عن العاصمة وهناك دبروا مؤامرة لقتله بمساعدة والدة الشاه مهد عليا التي لم تفلح في منع ابنتها الأميرة عزة الدولة من مرافقة زوجها والارتحال معه إلى منفاه. فقد صممت على مرافقة زوجها وحاولت جاهدة حمايته لدرجة أنها كانت تصّر على تذوق أي طعام وشراب بنفسها قبل تقديمه لزوجها خوفا من تعرضه للتسمم[٣٩]. بيد أنه من العسير جدا معرفة خفايا مؤامرة أجيد حبكها، فللأسف لم تتمكن من منع القدر فقُتل أمير كبير عام ١٨٥٢ خنقا في الحمام وبتدبير من والدتها صاحبة النفوذ القوي على الشاه وبأمر أخيها الشاه نفسه[40]. فعادت الأرملة مع طفليها إلى الحريم وهي تجر أذيال الأسى والحزن. ومن سخرية القدر أن تُجبر للمرة الثانية على الزواج من خليفة الصدر الأعظم الذي تآمر على قتل زوجها السابق.

أحيانًا وأثناء استحضار أخبار الماضي من الذاكرة قد تتسبب بُعد المسافة الزمنية بين الحدث وتدوينه احتمالية ضياع ونسيان بعض الأسماء فنجد أن سيرنا قد التبس عليها اسم الزوج الثاني للأميرة عزت الدولة مع اسم شخص آخر من رجالات الدولة. حيث جاء في مذكرات Lady Sheil مدام شيل (١٨٠٣-١٨٧١) التي عاصرت هذه الحادثة أن الأرملة الجميلة تم تزويجها للصدر الأعظم ميرزا كاظم خان نظام الملك ابن ميرزا آقا خان نوري. بينما الاسم الذي ذكرته سيرنا هو ميرزا محمد خان اقبال الملك، فهو ابن ميرزا باباى حكيم باشى وزوج ابنة ميرزا آقا خان نوري. وأشارت أن زواج أخت الشاه صار طرفة يتداولها الإيرانيون "ان اخت الشاه كخاتم الصدارة يتسلمه مع معطف الوزارة كل من ارتقى إلى هذا المنصب" [41].

وتستمر المآسي في حياة هذه الأميرة، فقد تآمر الأعداء على الصدر الأعظم وأقنعوا الشاه بخيانته فأمر بقتله، لتضحى أرملة للمرة الثانية، وما أن انتهت من فترة الحداد وإذ بها يُعقد قرانها للمرة الثالثة على ابن خالها الذي توفي بعد فترة وجيزة إثر اصابته في الوباء. ظلت الأميرة وحيدة لعدة سنوات إلى أن التقت بيحيى خان أحد الوزراء في البلاط فأحبته واختارته زوجا لها. وعلى الرغم من أن الشاب لا ينتمي لإحدى العائلات العريقة، بيد أن ناصر الدين شاه لم يملك أن يرفض هذا الزواج بعد أن كان السبب في إرغام أخته على الزيجات السابقة وترملها لأكثر من مرة، أحسنت الأميرة الاختيار في المرة الرابعة فلم يكن الزوج مهتما بالسياسة قدر اهتمامه التقرب من البلاط لذا لم يكن متوقعا أن يلقى مصير من سبقوه [42].

من اللافت حرص سيرنا على تلبية دعوات النساء الأرستقراطيات لزيارتهن وقضاء الوقت معهن في الحريم، وقد حظيت بدعوات استثنائية للمشاركة في طقوس ومراسم التعزية وزيارة الحمام والاستحمام، فاحتفظت ذاكرتها بأدق التفاصيل حول تلك اللقاءات واستحضرتها بكل عناية لتُشبع فضول القارئ الأوروبي حول تلك المنطقة التي لطالما ظلت محرم عليهم الاقتراب منها.

وقد عبرت سيرنا عن شوقها الشديد وسعادتها للقاء عدد من الشخصيات النسائية مثل ماه تابان الملقبة بقمر السلطنة سليلة العائلة الحاكمة وابنة فتحعلي شاه لما سمعته عنها، فكتبت جزيئات لقائها بها. كانت ماه تابان زوجة الصدر الأعظم على النقيض من زوجها غير المحبوب من العامة، فقد نجحت في اكتساب محبة وثقة الناس من خلال إبقاء بابها مفتوحا أمام أي مظلمة، فأمست تستقبل الشكاوى بترحيب وتطلب من الوزير النظر فيها ومعالجتها، في محاولة منها لجلب محبة الناس وتحسين صورة زوجها [43]. وعلى الرغم من أنها لم تكن تتحدث الفرنسية غير انها كانت تفهمها. ولعل قوامها الرشيق ولباقتها وذكائها تركت انطباعا مغايرا عن النساء في ذاكرة سيرنا. وقد أنعشت هذه الزيارة

خيال وذكريات سيرنا عن حدائق وقصور أوروبا فنظام القصر وتنسيق الحديقة وحتى الغلمان الذين قاموا على خدمتهم وأزيائهم كانت تدل على تأثر الصدر الأعظم وزوجته بالثقافة الغربية في محاولة لمحاكاة القصور الأوروبية ورغبة في التطور والتبادل الثقافي بين الشرق والغرب ويكأنه ايحاء ضمني بالتفوق الأوروبي [44].

حملت ذاكرة سيرنا الكثير من التفاصيل حول النساء في البلاط وكيف كن يقضين أوقاتهن في التجمل، وذكرت أن النساء استبدلن القلم والمحبرة بصندوق مسحوق التجميل في إشارة ضمنية لمحدودية ثقافتهن. ولم تتمكن سيرنا من المحافظة على المسافة التي ألزمت نفسها بها في مقدمة مذكراتها، فطغت ذاتيتها في بعض الأحيان عندما شبهت النساء الايرانيات بلُغة ساخرة بفاكهة البطيخ "خربيزة" وهي صورة نمطية مهينة تحصر المرأة في شيء واحد وتختزلها في مظهرها الجسدي. وفيها تجاهل للسياق الثقافي والتاريخي لمعايير الجسد ومثاليات الجمال في بلاد فارس، فالسمنة كانت من علامات الجمال في تلك الحقبة. وفي موقف آخر عادت سيرنا لتصف الفرح والمرح الذين كانا رفيقي تجمعات النساء عند الزيارات والذهاب للحمام، وتناول الطعام وتبادل الأحاديث، والرقص والغناء والاستماع إلى الموسيقى وحضور بعض المشاهد المسرحية. كانت ذاكرتها تستحضر كل تلك اللحظات الراسخة في أعماقها، فعلى الرغم من تصميم منطقة الحريم الفريد من نوعه بما يحتويه من الحدائق الغناء ونوافير المياه والأزهار الجميلة، وتوفر كل أسباب الراحة، بيد أن سيرنا في الوقت ذاته التقطت انطباعات الفرح والسرور الذي كان يغمر النساء في الحريم حين يُسمح لهن بمغادرة القصر في العربات الملكية والسير خلف الشاه للتنزه، "وكأنهن طيور فتح لهن باب القفص الذهبي وبدأن الطيران واستنشاق الهواء النقي ورؤية الطبيعة الغناء" [45]، وعلى الرغم من المعنى الإيجابي للعبارة غير أن باطنها يعكس نظرة استشراقية نمطية تحاول تصوير وضع النساء كمضطهدات مقيدات في الحريم.

وقد استعارت سيرنا ذاكرات إضافية لإحياء واستعادة مجرى الأحداث التي وقعت فتكاملت الصورة في ذاكرتها، فتفردت بنقل مرويات بقيت راسخة في ذاكرة الجماعة، فأحد أهم الأحداث السعيدة التي احتفظت بها ذاكرة المجتمع الفارسي في عصر القاجار هي العرس الملكي والاحتفال بزفاف عصمت الدولة ابنة ناصر الدين شاه، إذ ترك هذا الاحتفال ومباهج البذخ فيه ذكرى اختلطت بالخيال في ذاكرة الجماعة، فقد امتدت الاحتفالات لعشرة أيام شارك فيها كل فئات المجتمع ولم تقتصر على طبقة النخبة فحسب، بل أقيمت الموائد في كل المناطق ودعي الجميع إليها، وزُفت العروس على فيل ابيض من قصر والدها الشاه إلى قصر زوجها، وتم انارة الطريق وتجميله بأغلى أنواع السجاد، وزُين جدار القصر بالحرير الكشميري [46].

ومثلت ابنة الشاه عصمت الدولة وزوجها نموذجا لأسعد زوجين في البلاط، وكان يتم تداول أخبارهما في السوق، وبعكس الصورة التقليدية التي تصور نساء البلاط بالضعف إلا أن هناك نماذج أخرى قوية مثل أنيس الدولة زوجة الشاه المحبوبة التي رافقته في رحلته الأولى لأوروبا وعند إرغامها على العودة وعدم اكمال الرحلة بتحريض من الصدر الأعظم، توعدته، وحرضّت رجال الدين ونائب السلطنة عليه فنجحت بإقصائه فور عودته [47].

بغض النظر عن محاولة سيرنا الالتزام بالموضوعية والحيدة خلال تدوين تفاصيل الأحداث إلا أنه ليس سهلا على الإنسان التجرد من أرائه وخلفيته الثقافية ورؤيته، فقد استحضرت ذاكرتها مواقف فردية لبعض النساء، وانزلقت في اصدار أحكام جزاف وعممتها على المجتمع الإيراني آنذاك، فتقول سيرنا: " أما نساء الأعيان فلا يخرجن الا نادرا إما لمراقبة أزواجهن ومحاولة ضبطهم بالجرم المشهود أو لخداع أزواجهن، فهذه عادة النساء في كل مكان ومن جملتهم النساء في أوروبا، تقوم السيدة بتغيير هيئتها في شكل رجل وفي ملابس الرجال حتى تتمكن من الولوج إلى الأماكن التي يرتادها الرجال كالمسجد والمقهى والمطعم" هذه الرواية نقلتها لها سيدة مجهولة لم تكشف عن هويتها سوى أنها من الطبقة الأرستقراطية، روت لها أن الغياب المتكرر لزوجها عن البيت دفعها لهذه الحيلة فبدأت مراقبته للتأكد من اخلاصه لها، وهي حالة فردية لا تعبر

بالضرورة عن النساء في بلاد فارس، مما يجعل تعميمها من قبل سيرنا غير مبرر [48].

وفي موقع آخر تروي فيه عن أهمية الحذاء عند نساء بلاد فارس؛ فإضافة إلى وظيفته في حماية الأقدام أثناء السير، فهو أداة للدفاع عن النفس وضرب الرجال، تقول سيرنا أن المثل المعروف "فلان تحت ضربات فردة حذاء زوجته" ربما انتقل إلى ايطاليا واسبانيا من بلاد فارس، ومن وجهة نظرها أن المرأة في بلاد فارس حقودة بطبعها، فإذا لم يعجبها حديث ما، على مُحدثها انتظار ردة فعلها عبر فردة حذائها. وفي مكان آخر تتحدث سيرنا بلغة ساخرة عن الألقاب التي اتخذتها النساء وأطلقنها على أنفسهن "لو انطبقت تلك الألقاب مثل نور الشمس ونجمة المساء واللؤلؤة وغيرها من الألقاب التي يتفاخر بها النساء بالفعل عليهن، لكانت أرض فارس احتوت أجمل الحسناوات" في إشارة منها إلى أن الألقاب لا تعكس الحقيقة [49].

كثيرة هي القضايا التي أثارتها ذكريات سيرنا فقد تمكنت من مخالطة النساء من مختلف الفئات أثناء رحلتها فحفظت ذاكرتها صورة الفلاحة في الأرياف التي لا تجد حرجا في الكشف عن وجهها أمام الغرباء، ورغم بساطة بيتها إلا أنه نظيف ومنسق بشكل جميل. وتم استضافة سيرنا في بيوت الفلاحين أثناء رحلة العودة وحضرت بعض الاحتفالات، بيد أن ثقافتها الأوروبية والنظرة الاثنومركزية غلبت عليها في أحيان كثيرة فعندما أعطتها أحد الفلاحات مرآتها المكسورة لاستخدامها افترضت أن غايتها الحصول على المال، وعندما قامت العازفات في حفل الزفاف بالغناء لها والترحيب بها اعتبرت ذلك طمعا في المال، فقد وضعن النقود التي دفعتها لهن فوق جباههن وبدأن الرقص، وفي الواقع ان عادة الإيرانيين في تلك المناطق نثر النقود على الراقصين والرقص بها تعبيرًا عن سعادتهم [50].

وفي المقابل حُفرت بعض الذكريات المؤلمة في ذهن سيرنا لتجسد ظلم المجتمع للمرأة فقد شاهدت واقعة رجم إحدى النساء حتى الموت، فعاشت في صراع مع ذاكرتها في محاولة سرد تفاصيل الواقعة [51]. ولعل أكثر المواقف التي طُبعت في ذاكرتها هي قصة الأرملة الشابة في مدينة انزلي وما عانته من جور نتيجة تعرضها للاعتداء في مجتمع يلوم الضحية ويحكم عليها وعلى طفلتها بالموت بدلا من البحث عن الجاني ومحاكمته، ذكرى مؤلمة لم تتمكن من التخلص من أثرها العميق في ذاكرتها خاصة مع رؤية تلك الأرملة هائمة على وجهها في حواري انزلي تبحث عن ابنتها التي بأي ذنب قتلت[52].

كانت هذه شذرات من ذاكرة سيرنا عن النساء في الدولة القاجارية، فما الذي ميز ذاكرة تاج السلطنة الأميرة التي عاشت في الحريم وعاصرت الكثير من الأحداث الهامة في أواخر حكم ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه القاجاري. "إن للذاكرة مقدرة على توليد تاريخ آخر" [53] وتاج السلطنة استحضرت ذاكرتها الفردية صورا وذكريات من الماضي حين كانت تعيش في الإندرون، فحملت لغة اجتماعية وكأنها أرادت أن "تقدم صورة عن الماضي تستحق ثقة القارئ" روت فيها عن وقائع وأحداث كانت جزء منها، وأخرى وقعت في الماضي البعيد استعارتها من ذاكرة مربيتها.

كانت تاج السلطنة هي جوهر ذاكرتها التي تمحورت حول حياتها الشخصية قبل الزواج وعلاقاتها في قصر والدها، فرغم أنها نشأت في البلاط الملكي حيث تنعمت بمظاهر الأبهة والترف من نعومة أضافرها، بيد أن ذاكرتها المكبوتة أعادت لها ذكرى أيام الحزن والأسى والألم، فوفقا للقواعد الملكية فُرض عليها العيش مع مربيتها بعيدا عن والدتها التي لم تكن تقضي معها سوى ساعتين في اليوم، أما والدها الشاه فكانت تُأخذ لرؤيته ساعة في اليوم. تلك التمثلات المؤلمة نُقشت في ذاكرتها، ودفعتها لانتقاد تلك الأعراف التي تفرض على الأم عدم إرضاع وليدها، وأثارت في ذهنها العديد من التساؤلات لماذا لا تعطي الأم طفلتها الحب والرعاية؟ كيف ترضى والدتها السيدة المتدينة ترك تربية ابنتها للمربية. كلما استحضرت تاج السلطنة ذكرياتها مع والدتها كانت تطفو على السطح ذكرى مجروحة؛ فتارة تتذكر اعتداء أمها وانهيالها بالضرب عليها في غرفتها بسبب شائعة سمعتها من أحد النسوة في الحريم، وأخرى حين صفعتها أثناء انتشار الفوضى والهرج والمرج في الحريم بعد انتشار نبأ مقتل الشاه -لأنها رسمت حواجبها بالحبر الذي يصعب ازالته قبل عدة أيام، وهي عادة

كانت متبعة بين النساء في مظاهر الفرح- أو حين أهملتها للاعتناء بأخيها الصغير حتى في الساعات المخصصة لها. تلك المواقف قطعت حبل المودة في قلبها نحو والدتها وخلقت هوة شاسعة بينهما [54].

وُهِبت تاج السلطنة ذاكرة قوية بالفطرة وهو أفضل ما تملكه شاهدا على أن حدثا معينا قد حل أو قد مر، قبل أن تعلن أنها تتذكره [55]. تستذكر تاج السلطنة همهمات وهمسات النساء في جنبات الحريم حين بلغت الثامنة من عمرها، عن الخُطّاب الذين أرسلوا في خطبتها، فتروي لنا حذافير مراسم الخطبة، وكيف تم ترتيب زواج فُرض عليها فتقول "هل يمكن أن يكون هناك سوء حظ أكبر من زواج طفلة في الثامنة من العمر من شخص لم يختاره قلبها وروحها، واختاره الكبار نيابة عنها، يا لهذه القيم البالية"، واعتبرت ذلك اليوم الذي استُلبت فيه من طفولتها يومًا مشؤومًا [56].

وتستعيد ذكريات حفل الزفاف بعد وفاة والدها بعام وكانت حينها هي وزوجها في الثالثة عشر من عمرهما، لم تكن سعيدة لكنها ظنت في أعماقها أن الزواج قد يحررها من ذلك المكان الذي عاشت فيه، عرضت بكل دقة تفاصيل الزفاف الملكي وانتقالها لمسكنها الجديد؛ حيث حملها والد زوجها عند النزول من العربة لعدم قدرتها على النزول نظرا لصغر حجمها. كان هذا الزواج محكوما بالفشل منذ البداية، لارتباط طفلين لا يملكان أي خبرة في هذه الحياة [57].

هكذا تمضي تاج إلى الخلف نحو طفولتها مع الشعور بأن الأمور قد جرت في عصر آخر فتسرد بكل أسى تفاصيل دقيقة عن حياتها الزوجية واهمال الزوج، وخيانته لها بل وشذوذه، فباتت في حالة من التعاسة قادتها إلى الاكتئاب ومحاولة الانتحار بالسم أكثر من مرة، وعدم التردد في إجهاض جنينها، وبعد فترة وعلى إثر نصيحة أحد الأقارب توجهت للتعلم بعد أن أدركت أن الجاهل بلا قيمة في الحياة، فتلقت دروسا في اللغة الفرنسية، وانفتحت على الثقافة الغربية وتأثرت بالفلسفة الطبيعية؛ مما دفعها إلى التمرد ورفض العادات والتقاليد البالية، فتحدت المعايير الأبوية وتبنت الأفكار الغربية "الاستلاب الثقافي"، فارتدت الملابس الأوروبية، وتوقفت عن ممارسة الشعائر الدينية كالصلاة بحجة أن الملابس الأوروبية ضيقة فلا تستطيع الصلاة فيها. ومن ثَمَّ خلعت الحجاب، وبدأت نشاطها والمطالبة بتحرير المرأة من القيود المفروضة عليها وأولها الحجاب الذي برأيها هو سبب تخلف ورجعية الأمة [58]. تدوين تلك الحقائق والتعبير عن معتقداتها بهذه الصورة آنذاك يعد أمرا جللا في مجتمع يُتجنب فيه هذا النوع من الأدب، والذي هو امتداد منطقي للثقافة السائدة في مجتمع ثنائي يفصل بين الداخل والخارج، نجد تاج قد تغلبت على سلطة الرقابة الأخلاقية الذاتية والخارجية وتحدت المجتمع بالكشف عن أسرارها الخاصة والقيود المفروضة على بنات جنسها، رغم تمركز ذكرياتها حول الذات [59].

وبطبيعة الحال حملت لنا ذكريات تاج السلطنة الكثير عن النظام والسياسات المتبعة في الإندرون، فكل امرأة من الحريم كانت تملك جناحا منفصلا ولها جواري وخدم مخصصين لخدمتها، ومن النادر أن تشترك اثنتان في منزل واحد إلا إذا كانت من الفئات الدنيا في المجتمع وتدخل القصر لأول مرة، إضافة إلى ذلك فقد تم تخصيص راتب ومنزل وأملاك خارج القصر لكل سيدة. وقد بلغ حريم ناصر الدين شاه ثمانين زوجة وجارية، لكل منهن خادمات، ومجموع النساء في الحريم وصل إلى حوالي ستمائة، وقد رزق ما يقارب ثمانية نساء منهن فحسب بأبناء، أما الأغلبية فقد حُرمن من الأبناء إما لوفاتهم وهم صغارًا أو لأنهن لم يرزقن بأطفال [60].

وروت تاج السلطنة عن التقاليد والبروتوكولات الملكية المتبعة في منطقة الحريم بعد وفاة الشاه، حيث يتم نقل حريم الشاه المتوفى وإحلال القصر بحريم الشاه المتوج حديثا، وتُعد تلك اللحظات من الذكريات الأكثر قسوة وتعقيدا في حياة تاج السلطنة بعد وفاة والدها الشاه، إذ حُكم عليها بترك القصر الوسيع ضمن باقي الحريم والحرمان من الرفاهية التي كانت تتمتع بها، ومن ذكريات طفولتها وغرفة ألعابها والبيانو الذي كانت تعزف عليه، والانتقال للإقامة في منزل صغير ضيق، فكان هذا الانتقال مفاجئًا وصادمًا رافقه شعور بالانقباض [61].

صورت ذاكرة تاج السلطنة النساء في الحريم كسولات وجاهلات لا يعرفن حزنًا أو غمًا في هذه

الحياة، فكن جميعا متدينات وملتزمات بالصلاة والصيام وقراءة القرآن. وقد اعتدن قضاء يومهن في التسلية والألعاب مثل ممارسة لعبة لاسكنة [62]. ناهيك عن التنافس بالتجمل والتدلل ليختار الشاه واحدة منهن في المساء والباقي ذهبت جهودهن أدراج الرياح. فعشن حياة مرفهة ولم يتعرضن لتحديات ومصاعب كبيرة، فنشأن هشات غير مدربات على تحمل الأعباء، لذا بعد وفاة الشاه وخروجهن من الحريم لم يتمكنّ من مواجهة العالم الآخر القابع خلف أسوار القصر، وبعد فترة قصيرة مات أغلبهن [63].

وفي مكان آخر وصفت النساء في بلاد فارس بأنهن لسن بشرًا وإنما جزء من الحيوانات والوحوش، يقضين حياتهن في الحبس وخلف الجدران ويتحملن الكثير من الضغوط والحياة البائسة والشاقة، ويراقبن من بعيد في حسرة ما حققته النساء الأوروبيات اللاتي طالبن بحقوقهن في المساواة وحقهن في المشاركة السياسية، فقد كانت الأخبار تصلهن من خلال قراءة الصحف الغربية [64].

تجدر الإشارة هنا إلا أنه رغم القيود التي كانت مفروضة على النساء في تلك الفترة، بيد أن المرأة في بلاد فارس تمكنت من مزامنة التحديات ببراعة وكان لها دور مؤثر في أغلب الميادين وشاركت بفعالية في الثورات التي شهدتها المملكة، وظهرت شخصيات نسائية بارزة أثرت في المجتمع الفارسي مثل قرة العين وبيبي خانم وسردار مريم وغيرهن، والصورة السلبية التي نقلتها تاج السلطنة وان تضمنت الحقيقة في جوانب منها، غير أنها لا تعكس بالضرورة الصورة الكاملة بدقة، فهي تظهر مشاعرها الشخصية المكبوتة نتيجة ظروف فُرضت عليها.

التقت ذاكرة تاج السلطنة وسيرنا واتفقتا حول شخصية أنيس الدولة الزوجة المفضلة للشاه التي لم تكن تتمتع بمظاهر الجمال، بيد أنها احتلت منصب الصدارة في قلب زوجها الشاه. وصفت تاج السلطنة كيف التقاها الشاه في أحد رحلاته وكانت حين ذاك فلاحة في الحقل، وكيف أسرت قلب الشاه بعفويتها وجرأتها عند الإجابة على أسئلته دون خوف وخجل، فاختارها زوجة له وأحضرها للحريم وسلمها لجيران إحدى زوجاته المفضلات وكانت المسؤولة عن الحريم في تلك الفترة وتلقب بفروغ السلطنة [65]. وعلى الرغم من أمية هذه الفتاة وحياتها الريفية إلا أنها اندمجت في حياة القصر وتعلمت من جيران، ولم ترزق بأبناء. وبعد وفاة جيران باتت هي المسؤولة عن إدارة أمور الحريم، أحبها الجميع ونالت احترامهم. وكانت انسانة وقورة عُرفت بلباقتها، وتولت مهمة استقبال نساء السفراء الوافدين إلى بلاد فارس، فكانت تُمثل البلاط الملكي في المناسبات والأعياد الرسمية في استقبال الضيوف من الحريم. وكانت تنفذ عن طريقها كل المراسيم، وفي حضور السلطان يتم الرفض أو القبول، وذلك لثقة الشاه بها. وتميزت بشخصيتها القوية فتركت أثرا كبيرا في ذاكرة تاج السلطنة خاصة بعد محاولات أنيس الدولة اقناع الشاه بتأجيل الاحتفال بالذكرى الخمسين لصعوده على عرش الطاووس، لثلاثة أيام حسب نبوءة المنجم [٦٦]. أحبت هذه السيدة زوجها الشاه من أعماق قلبها ولم تلبث بعده طويلاً فقد لحقته إلى الرفيق الأعلى بعد فترة قصيرة[٦٧].

لم تكتف تاج السلطنة باستحضار ذاكرتها الفردية، بل استعارت بعض الأحداث من ذاكرة مربيتها التي كانت تروي لها قصصا عن الشخصيات والوقائع التي جرت في الماضي قبل ولادة تاج، من هذه الشخصيات أمين أقدس زوجة الشاه التي كانت مسؤولة عن صندوق أموال الدولة، أُحضرت تلك السيدة من الأرياف وكانت في البداية خادمة جيران محظية الشاه والمسؤولة عن القطة التي أحبها الشاه لاحقا، وعمة الطفل ملجيك الذي تعلق به الشاه بعد اختفاء القطة وأغدق عليه النعم وقربه من البلاط، فكان هذا الطفل علة ارتقاء هذه السيدة في النظام التراتبي في الحريم لتحتل مكانة مرموقة[٦٨]. وقد أصيبت لاحقا بمرض أفقدها الرؤية وتوفيت بعدها[٦٩].

تمثلات تاج السلطنة في ماضيها تضمنت العديد من الخفايا المهمة التي تعين الباحث اليوم على تفسير وتحليل الوقائع والأحداث اللاحقة، دونت تاج عن زوجة الشاه ماه رخسار التي وقعت تحت تأثير الصدر الأعظم وحديثه المعسول -الذي نال ثقة السلطان فسمح له بالولوج إلى الاندرون- فكانت تمده بأخبار الشاه وفحوى

المراسلات والخطابات المرسلة للشاه، وذلك حين كانت تحمل الضوء للشاه في المساء، وتقف خلفه أثناء قراءة الكتب وكتابة المراسلات واعداد المراسيم الهامة، لثقته بها وظنا منه أنها لا تجيد قراءة المخطوطات، بيد أنها كانت تغافله في الصباح وتتطلع على فحوى تلك الخطابات لتنقلها للصدر الأعظم. تظن تاج أن سذاجة هذه المرأة وحبها للشاه دفعاها إلى تلك الفعلة التي لم تكن تدرك تداعياتها[70].

"إن التفاعل بين الماضي والحاضر هو تفاعل بين الإدراك الحسي والتذكار" فالإدراك الحسي ومعايشة الحدث يعززان من استحضار الذكرى[٧١]، فنجد تاج السلطنة تسترجع ذكريات رحلتها إلى مدينة تبريز حيث رأت النساء الفلاحات يعملن يدا بيد مع أزواجهن في زراعة الحقول وأحست بمدى السعادة التي تغمرهم رغم تعب ومشقة العمل تقول "كُنتُ أرى النساء والرجال منهمكِين في العمل سويًا، ودون حجاب"، هذه المناظر رسخت في ذهن تاج مسألة شديدة الأهمية حول الحجاب، فبات الحجاب سبب الرجعية والظلم القابع على النساء، وعدم ارتداء الحجاب ساهم من وجهة نظرها في إشاعة الود والحب بين الفلاحات وأزواجهن[٧٢].

امتازت الذكريات التي دونتها كل من مدام سيرنا وتاج السلطنة عن النساء باتساع النظرة في المكان والزمان، فلم تقتصر على طبقة النخبة، بل كانت ذاكرات حقيقية ومستعارة ومحاولة لإلقاء الضوء على تلك الفئة المهمشة في التاريخ، وبعض الأدوار التي لعبنها وتأثيرهن على السياسات في الدولة. فكان لكل منهما أسلوب مميز ودقة في الوصف، وبقراءة متأنية نجد أن تلك الأخبار تمدنا بطيف من الصور عن الحريم كمكان والنظام المتبع في البلاط، وعن نماذج نسائية متباينة إما مغلوب على أمرها أو نافذة السلطة. تقاطعت تلك الذكريات واتحدت معا لتقدم لنا توليفة من الموضوعات، وحاولت تجنب الصور النمطية والالتزام بما شاهدته. وعلى الرغم من ذلك لاحظنا بعض الهفوات الاستشراقية الناجمة عن قصور في معرفة الخلفية الثقافية ونظرة اثنومركزية غربية من ناحية سيرنا، تلمسناها في النماذج التي اختارتها فتراوحت بين المرأة الضعيفة والمغلوب على أمرها، أو التي لا هم لها سوى قضاء وقتها في التجميل والتسلية، أو المرأة القوية ذات النفوذ التي تسببت في تراجع الدولة والتخلص من الصدور العظام مثل مهد عليا وأنيس الدولة.

رابعًا: الذاكرة والمهمشون

"اهتم المؤرخون من نهاية القرن التاسع عشر بالمتشردين والمجرمين وبالهوامش في المجتمع"[٧٣]، وقد رسمت مشاهدات سيرنا صورة حية للواقع المتناقض لحياة تعج بالنشاط في بلاد فارس، فتنقلت ذاكرتها بين حركة الناس من مختلف المشارب في ازدحام البازار؛ واحتفظت بأخبار ومرويات متنوعة فصورت بدقة نماذج لبعض الفئات المهمشة ونالت عناية خاصة بأخبارهم لتبين مدى تأثيرهم وحضورهم في المجتمع وتطرقت لأحوالهم الغريبة وأخبارهم وعاداتهم. ومن جانبها لم تهمل تاج السلطنة التطرق لشخصيات منسية في التاريخ كان لها دور في حياتها. وفي حين أن تلك الروايات قد تعكس خلفياتهم وتوقعاتهم الثقافية الخاصة، إلا أنها توفر نسيجًا غنيًا بالتفاصيل حول المجتمع القاجاري، وتزودنا بتفاصيل مهمة ومفصلية في بعض القضايا لإنجاز قراءة تفهمية للمجتمع الفارسي آتية من القاع من منظور المركزي والهامشي.

لم تحظ الطبقات الاجتماعية الدنيا في العصور المختلفة بنصيب كبير في الكتب التاريخية، وتم تجاهل أدوار العديد من الشرائح الاجتماعية والكادحين الذين لطالما عمّروا دهاليز التاريخ وأقبيته المظلمة، بيد أن نصيبهم كان النسيان[٧٤]. ولعل شخصية الچاروادر من أفضل الأمثلة في هذا المجال؛ فقد كانت تُعد من أدنى الطبقات الاجتماعية في المجتمع الفارسي، رغم أنها لعبت دورا مهما ومؤثرا في تسهيل حركة النقل والتجارة والسفر في الدروب الوعرة والفيافي الموحشة. فالچاروادر هو شخص يمتلك دواب مثل البغال والخيول، ويعتاش عبر تأجيرها لنقل الركاب وحمل البضائع والسفر لمسافات طويلة، وأحيانا كثيرة لا يمانع بنقل الجنازات من منطقة لأخرى مع طول المسافة وتشعبها [٧٥]. حيث يقوم المسافرون باستئجار الدواب لحمل

بضائعهم ويتولى الچارودار تسهيل عملية الحمل والنقل ومرافقة القافلة إلى مقصدها.

وقدمت سيرنا وصفًا دقيقًا عن حياة الچارودار، فهم "أناس أقوياء وراضون، يقتاتون بكمية صغيرة من الأرز ورشفة من الماء، وفي الواقع، يرتاحون أقل من البغال". ووصفت شخصية چارودار الزعيم بأنه قائد مستقل يأخذ قراراته فيما يخص القافلة والطريق متى شاء ويتوقف متى شاء وفقا لشروطه الخاصة. يشير هذا الترتيب غير الرسمي إلى وجود نظام تم التفاوض عليه داخل القافلة، وتوزيع للمهام مما يضمن الكفاءة دون وجود تسلسلات هرمية صارمة[٧٦].

اقتربت سيرنا من الناس العاديين في محاولة لفهم أفكارهم وعاداتهم وأعرافهم وطرق معيشتهم، فاختزلت ذاكرتها توليفة من الذكريات المتنوعة، فقدمت لنا لمحات فريدة عن عالم القوافل من خلال عدسة " الچارودار"، وتحليلاً للممارسات والروتينيات اليومية لهؤلاء الحمالين وكيفية تنقلهم والحفاظ على النظام داخل القافلة. تلقي هذه اللمحة عن "التاريخ من الأسفل" الضوء على الدور الحيوي للچارودار ومساهمتهم في النسيج الاقتصادي والاجتماعي لبلاد فارس القاجارية.

من جانب آخر استحوذت شخصية الدراويش باهتمامها فهم لا يتشابهون فلكل منهم أخلاق وسمات تميزه عن الآخر، فمنهم الإيراني والهندي والعربي، والفرنسي. وغالبا ما يبدون هائمين على وجوههم الكئيبة والشاحبة، فالدرويش العربي مثلا يرتدي قبعة مخروطية الشكل نقش عليها آيات وسورا من القرآن وأدعية وأحاديث عن النبي ويرتدي ثوبا قذرا، ويحمل فأسا ثقيلا على كتفه وحقيبة ظهر يحمل فيها ما يجود به الناس من أطعمة. ويقوم ببيع الناس طلاسم وآيات قرآنية ملفوفة في قطع أقمشة كحجاب يحفظهم وبأسعار زهيدة، وآخر يجني قوت يومه عبر صوته الرنان فينشد أشعارا مذهبية ويتوسل بالأئمة ويروي مصائب أهل البيت ليجذب انتباه العامة بنبرة صوته[٧٧].

وفي موقع آخر تستحضر ذاكرة سيرنا بالتفصيل حياة الدراويش فهم يتنقلون بكل حرية في بلاد فارس والهند ومصر ودول أخرى، ويعيشون هائمين على وجوههم يلتقطهم السيارة في الطريق ويتصدقون عليهم، البعض منهم ينقلون احكام القران للهند وينشرون افكار وحضارة الهند بين المسلمين، والبعض الآخر فقهاء ويمكنهم الفتوى في ادق الأمور الدينية، ومنهم الذي اكتفى بحفظ عدد من الروايات يرددها دائما، ومن بينهم الكثيرين الذين يقومون ببيع الطلاسم والاحجبة للحفظ والشفاء، ويستعين بهم الناس في حال سرقت اموالهم او ضاعت، ويلجأ اليهم البعض للاستخارة قبل بدء أي تجارة او الذهاب في رحلة ويستغل هؤلاء بساطة الناس في الحصول على الأموال[٧٨].

ومن القصص الطريفة التي استرجعتها ذاكرة سيرنا لقائها بدرويش فرنسي أو السيد ميم كما أطلقت عليه والذي ينتسب لعائلة ثرية وذات شأن في الغرب، فكان يجيد اللغات الشرقية التي تعلمها في باريس في عام ١٨٧٥، ونتيجة لتعرضه لبعض الضغوط في عمله كونه ضابطا وفقده لوالديه يصاب بخلل في قدراته العقلية، وبعد حين يقرر هذا الشاب الارتحال فيسافر عن طريق روسيا إلى الشرق وفي الطريق يقبض عليه بتهمة التجسس ويتعرض للتعذيب في السجن، إلى أن يتم التحقق من كونه سائح ويفرج عنه فيرحل للشرق وهناك يختلط بالدراويش ويعيش معهم في المساجد ويزور الأضرحة. وقد وصل دخل هذا الدرويش ثمانين فرنكا من الصدقات التي كان يغدق بها الناس عليه، فكان يقوم بإرسالها عن طريق إسطنبول لفرنسا. وقد حاول الفرنسيون المقيمون في بلاد فارس ورجال الدين إعادته لفرنسا لكنه أبى الذهاب وفضل هذه الحياة عن حياة القصور، إلى ان تمكنوا من ارغامه على الخروج من طهران والتوجه لباريس[٧٩].

وبطبيعة الحال فإن الحرية التي كانت تتمتع بها سيرنا أتاحت لها فرصة التنقل بين المدن والقرى الهامشية، وكان هذا الاهتمام نتيجة ثقافة غربية بدأ يجد فيها المهمشون مساحة للحضور والتأثير، ونتيجة لما شاهدته سيرنا من تأثير هذه الفئة وحضورها على العقل الاجتماعي فاستحضرت الكثير من الشخصيات في مذكراتها، بيد أن حيز الدراسة لا يسمح بذكرها. وفي المقابل نجد تاج السلطنة المقيدة بقواعد البلاط والملزمة بالاحتجاب، تمحورت ذاكرتها حول سيرة حياتها فانغمست في ذاتها، بيد أن ذاكرتها القوية ومهاراتها

اللغوية ساعدتها في إبراز بعض الشخصيات المهمشة من المحيطين بها في بلاط الحريم التي وإن سقطت من ذاكرة التاريخ كان لها أدوار وساهمت في تكوين الصورة.

فقد استحضرت تاج من ذاكرة طفولتها آقا نوري خان خواجة نائب اعتماد الحرم والمسؤول عن بوابة الحريم والذي كان يحتفظ بمفاتيح القصر الملكي، ويصدر أوامر الدخول والخروج لمنطقة الحريم، وصفت تاج ملامحه القاسية بدقة وكأنه سفاح "حين يتجشأ كنا نسمع الصوت من أبعد مكان في القصر"، يهابه كل من في القصر "فحتى لو مرض أحد أفراد الحريم وكان على حافة الموت، واقا نوري في الحمام لن يتجرأ أي أحد على تخطيه"، دخل القصر صغيرا واكتسب ثقة الشاه فتمكن من الصعود لأعلى المراتب[٨٠].

وسردت تاج عن مربيتها الشخصية (الدادا)، وهي امرأة في الخامسة والأربعين سوداء البشرة لا تتحدث كثيرا، وإذا تحدثت فبنبرة حادة. وكانت مربية والدة تاج سابقا، وباتت المسؤولة عن تربية تاج وتوفير جميع أنواع الطعام والشراب لها. ورغم ملامح وجهها المخيفة وجسمها الضخم إلا أن تاج كانت تحبها وتعلقت بها بشدة لدرجة أن هذه المودة انتقلت معها لكل من يحمل اسم دادا وله بشرة سمراء. وقد تعلمت التحدث بلغتها وكانت تخاطب بها الأطفال[٨١]. وتكشف ذاكرة تاج عن ازدواجية في مواقفها تجاه قضية العرق والحرية، فتارة نجدها تبدي استيائها الشديد لما تتعرض له الطبقة الدنيا في المجتمع الفارسي وخاصة العبيد، وتستنكر فرض السيطرة على عباد خلقهم الله أحرارا واستعبدهم بني البشر فيتعرضون للبيع والشراء. وفي موضع آخر تنتقد والدتها لترك تربية ابنتها لامرأة سوداء وجاهلة لا تعرف الفرق بين الألف من الياء. كثيرة هي القصص التي روتها تاج عن شخصيات من الطبقات الدنيا، تعيننا هذه الروايات في استكمال السردية التاريخية حول الإماء والعبيد السوداوات في القصور الفارسية.

خامسًا: الذاكرة والنظام والفساد الإداري

احتفظت ذاكرة سيرنا بتفاصيل لقائها الأول مع الشاه في باريس عام ١٨٧٣ التي هدف فيها التعرف عن كثب على الحضارة الأوروبية وأصول الحياة الحديثة للإفادة منها في تقدم بلاده، فحرصت ذاكرتها على رصد أصداء تلك الرحلة والإصلاحات التي حاول تطبيقها بعد عودته. كانت باكورة تلك الإصلاحات انشاء مجلس الشورى لتباحث قضايا المملكة بين اعضاء المجلس من الوزراء وبعض كبار رجال الدولة -الذين قام الشاه بتعيينهم-. وأمر الشاه بنشر صناديق لجمع التظلمات في كافة انحاء البلاد يضع فيه المظلومون شكاواهم لبحثها ونصرتهم. بيد أن حكام المدن ورجال الدولة الفاسدين وضعوا رجالهم عند تلك الصناديق ليهددوا الناس بالجلد والتعذيب في حال وضعوا شكواهم في الصناديق، فكانت الصناديق تصل عند الشاه فارغة فيطمئن قلب الشاه ظنا منه أن الأمن مستتب وأن الشعب مرتاح[82].

واستعرضت سيرنا عددا من الإنجازات في عصر ناصر الدين شاه القاجار مثل تأسيس مكتب للبريد ودارا لصك العملة تم تسليم ادارتهما لأوروبيين، وأمر بحفر ومد أحدث طريقين في تاريخ إيران بإيعاز بريطاني، واستصلح البنية التحتية لصرف المياه، وباتت طهران مدينة جميلة في عهده. واهتم بتجديد الجيش وتسليحه بأسلحة حديثة من فرنسا، وأنشأ مدرسة نظامية تحت اشراف ووزارة الحرب بقيادة ضابط دانماركي [83]. ويكأن تلك التفاصيل تعكس رؤية استشراقية تتسم بالتأكيد على الحاجة إلى الخبرة الأوروبية والتفوق الغربي، وتكرس الصورة النمطية السلبية عن المجتمع الشرقي.

وقد نشط شريط ذاكرة سيرنا في تدوين صورة وتفاصيل من ذكريات واعية لتجارب ومحطات فارقة عايشتها الجماعة كالاحتفال بافتتاح طريق شويه الجديد عام ١٧٤٤ للربط بين العاصمة طهران وضريح شاه عبد العظيم، وكان أكثر الطرق وعورة لكثرة العراقيل الطبيعية وكثرة الأمطار والثلوج وغزارتها ووجود الأنهار التي كادت تتسبب في إيقاف المشروع بعد أن جعلت مهمة انشاءه مستحيلة، حتى اضطر المهندس المعماري الأوروبي إلى بناء أكثر من ثمان سدود لاستكمال الطريق. سردت سيرنا كيف نُقش هذا الحدث في الذاكرة الجمعية واحتفظت بتفاصيله حيث استُخدمت

الأعلام والورود لأول مرة في تدشين الطريق وعُزف النشيد الوطني[84].

غير أن تلك الإصلاحات ما انفكت أن توقفت. فنجد سيرنا في أحيان كثيرة تغلبها الذاتية وتصدر أحكامًا بنظرة استعلائية وتعميمية على الإيرانيين فهم "شعب لا تجتمع فيهم صفات التنمية والتطوير لذا فاستمرار الإصلاحات الإيجابية في بلاد فارس أمر غير ممكن، والدليل توقف سلسة الإصلاحات التي بدأها الشاه في غضون عدة أشهر".

خلفية سيرنا الأوروبية وذاكرتها المثقفة التي تكونت في صالونها حيث اللقاءات بين كبار الشخصيات وتبادل الأحاديث أسهمت في تكوين رصيد معرفي مكنها من توسيع النظرة في المكان وفي الزمان، فاختزنت الكثير من الإشارات حول فساد النظام في بلاد فارس أولها الحاكم الذي يدعي أنه ظل الله على الأرض، ويوظف سلطته من اجل الاستتباع والتبعية. فقدمت وصفا تفصيليا حول إيرادات الشاه وخزانة المملكة وفي مقدمتها الضرائب التي يتولى الحكام وكبار رجال الدولة بتحصيلها من الشعب وتحويلها لخزانة الشاه، فيأخذ جزءا منها، ثم يتقاسم الوزراء يتبعهم رجال البلاط كل يأخذ نصيبه منها بالتسلسل فلا تصل إلى خزينة الدولة إلا مبالغ قليلة جدا وقد لا تصل في بعض الأحيان، ويظل صغار الموظفين والجنود شهورا طويلة دون استلام حقوقهم. والمنبع الآخر هو الهدايا الثمينة التي كانت تقدم للشاه خلال جولاته الداخلية لمنازل كبار الرجال في الدولة، ومن وضع يده على المواريث ذات القيمة العالية، وقد أجاز الشاه لرعاياه العمل الحر وتكوين الثروات شريطة أن يحصل بدوره على نصيب منها. وعند التخطيط للقيام بالرحلة الثانية لأوروبا قام بالإفراج عن المجرمين المحكوم عليهم بالموت للحصول على العفو العام مقابل مبالغ مالية، ساهمت تلك المبالغ في تأمين نفقات الرحلة الثانية مما أعفاه من استخدام أمواله الخاصة[85].

وكان ناصر الدين شاه بارعًا في ابتكار طرق جديدة وطريفة للحصول على الأموال فقد ابتدع "لعبة البائع"، فكان يحدد يوما يخرج فيه للسوق ويتم دعوة كبار الشخصيات والمشاهير والأعيان لمرافقة الشاه، وفي السوق يقع اختياره على أحد الحوانيت التي كانت تبيع الأدوات المعدنية والغريبة المستوردة من الخارج، فيجلس الشاه على المنضدة في المحل ويسأل صاحب المحل هل تمانع في شراكتي اليوم، ومن البديهي ألا يملك التاجر الرفض. فيلعب الشاه دور صاحب المحل ويبيع البضائع بأسعار غالية وخيالية ويضطر التجار الأعيان والناس للشراء منه؛ وفي نهاية اللعبة يقسم الأرباح بين الشاه وصاحب المحل. ومن ثم تحول الأموال لسبائك ذهب ويتم تخزينها في صناديق يحتفظ بها الشاه في قصره[86].

تتجلى هنا الذاكرة الغربية لسيرنا التي نشأت وترعرعت على أصداء عصر التنوير والثورة الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر حين تصطدم فكريا بنظام الحكم الذي يعد فيه الشاه نفسه "ظل الله على الأرض" فقانونه هو السائد ولا يعلوه أي حكم، فافترضت أنه نتيجة لهذا النظام ظل المجتمع الإيراني أسيرا لأهواء هذا الحاكم ورجال البلاط[87]. في حين أن هذا النظام لم يكن سمة فريدة بهذا السياق الثقافي، فمفهوم "الملكية المطلقة" كان سائدا في أوروبا في القرون الوسطى وأوائل العصر الحديث، حيث ارتبطت الملكية بالكنيسة واعتبر الملك رمزا للسلطة الإلهية.

وتفرض هذه الذاكرة نفسها على سيرنا حين تقوم بمقارنة خاطئة بين سيد محمد علي باب ومارتن لوثر في محاولة لتشبيه حركة باب الإصلاحية بحركة الإصلاح الديني التي قادها لوثر في أواخر القرون الوسطى وبدايات العصور الحديثة[88].

وكلما اقتربت سيرنا من الناس وعايشتهم قوبلت بظواهر ومواقف عديدة تتصادم فيها مع ذاكرة التنوير، فمفهوم "السجن والسجين" مثلا يرتبط بسلطة القانون وحقوق الأفراد في ذاكرة سيرنا، بيد أنه يتعارض مع ما شاهدته في منازل عدد من الأهالي وذوي السلطة والنخبة في بلاد فارس، فلكل منهم قانونه وسجنه الخاص الذي بناه في منزله أو قصره لمعاقبة وحبس المخالفين والخارجين عليه من العامة، وفي عملية استحضار للذاكرة تروي سيرنا مشاهداتها قائلة "تُقسم السجون لعدة أنواع، [.....] فكل إيراني صاحب مقام يعتقد أنه ان لم يحكم ويعاقب أحدا، فإنه سيفقد هيبته

ومكانته الاجتماعية". ومن هنا سادت الفوضى ذلك المجتمع الذي بات رازحا تحت رحمة وسلطة كل صاحب نفوذ يهب نفسه الحق في الهيمنة والاستبداد على تلك الفئة الضعيفة ويكأنه "ظل الله". في مملكة يحكمها الملك بالسيف والأهواء لا بالقانون: فهو صاحب النفوذ على الأرواح والمال بلا منازع، فلا عزيز ولا قريب فقد خلع الشاه صدره الأعظم الملقب ب "أمير كبير" وأمر بقتله[89]. بيد أن الإصلاحات التي قام بها أمير كبير بقيت ذكرى جميلة في الذاكرة الجمعية للشعب. كانت هذه بعض الانتقادات اللاذعة التي ما فتأت تذكرها سيرنا بين الحين والآخر[90].

في المقابل يتباين شريط ذكريات تاج السلطنة عن ناصر الدين شاه وتتجلى في علاقة الأب بابنته الصغيرة فكشفت صورا وألوانا من المشاعر الجياشة، فتتذكر تاج وجهه الحنون رغم ملامحه البائسة وحديثه المفعم بالمحبة والرأفة، كان والدها سلطانها وسيدها أحبته أكثر من أي شخص آخر، لم ترى منه سوى الحنان والاحترام وهي تستحضر آخر لقاء معه قبل اغتياله فكتبت "نظر إليّ أبي نظرة عميقة اثرت فيّ وظل يتأمل وجهي، وقال سأزوجك قريبًا وحينما أزورك في منزلك عليك بخدمتي"، ثم طبع قبلة دافئة على جبهتي ما زلت أحس بدفئها يسري في جسدي" آه معلمي العزيز ... الآن وأنا استحضر تلك اللحظات، أشعر أن نبضات قلبي ستتوقف [...]، يا إلهي رغم مرور سبعة وعشرين عاما على تلك اللحظة ما زلت أشعر بها وكأنها حدثت للتو"[91].

"الذاكرة تحفظ الماضي والتاريخ يحفظ أحداث الماضي"[92] وذاكرة تاج تحفظ ذكريات الماضي الحزين وتعود بها إلى الليلة الأخيرة قبل اغتيال الشاه حيث الاستعدادات للاحتفال بمرور خمسين عاما على حكمه، وتسترجع محاولات أنيس الدولة زوجة الشاه لإقناعه بتأجيل الاحتفال ثلاثة أيام حسب نبوءة المنجم ورفض الشاه قائلا " لو نظر الي رعيتي بمنظار دقيق وعادل سيدركون أني لم أكن حاكما سيئا، فلم أقتل أي فرد خلال فترة حكمي [...] ولم أُثر أي صراع مع الدول المجاورة، حرصت على توفير الأمن والرفاه لرعيتي [...] وقد قررت بعد الاحتفال إيقاف الضرائب، وافتتاح مجلس للشورى يُمثل فيها عن كل ولاية نائب منتخب، فلماذا يحاول رعيتي قتلي"[93].

أحد الملكات التي يتمتع بها الانسان هي الذاكرة التي يقوم بتوظيفها لاستعادة أحداث الماضي ومعايشته في الخيال، غير أن استحضار تلك اللحظات لا تعني بالضرورة أنها مطابقة للأنباء والوقائع المحتفظ بها في الذاكرة، ففي كثير من الأحيان تقوم الذاكرة ببلورة الذكريات الشخصية وتقديمها بصورة مرغوبة للمتذكر، فيتذكر معلومات شخصية غير دقيقة أو خاطئة وذلك بسبب عملية التصفية والفرز في الذكريات [94]، وذلك ما حصل مع تاج فنجدها تارة تفتخر بوالدها ولا ترى به اي عيب أو نقص وتقول "فلو أتيحت له الفرصة لكان أسس دستورا مُحكما وراسخا لهذه الأمة ولكان قدم الصدر الأعظم للمحاكمة وحاسبه أمام مجلس الأمة على خيانته وفساده". في الواقع أن أحداث الثورة الدستورية وقيام المجلس وقعت في عهد مظفر الدين شاه وليس ناصر الدين شاه، لقد اختلطت ذاكرات الحاضر بالماضي عند تاج وذلك ناجم عن محاولات استرجاع ماض بعيد بتفاصيله.

حملت ذاكرة تاج علاقة جدلية وصراع ما بين حبها الشديد لوالدها الشاه من جهة وانتقادها له لانشغاله عن إدارة الدولة بالملذات واللهو من جهة أخرى، فروت عن انشغاله عن أمر الرعية وعشقه لأخت زوجته ماه رخسار الذي أثار زوبعة في البلاط لولا تدخل صنيع الملك وحل الأزمة بدهاء[95]. كانت تاج تشعر بالأسى والحزن لاسترجاع تلك اللحظات فترقرقت عيناها بالدموع لاضطرارها لاستحضار هذه الذاكرة والتأريخ لهذه الوقائع عوضا عن سرد إنجازات والدها الشاه في تنمية البلاد، وكأنها تود أن تحول دون ضياع ذلك الماضي المرفوض في متاهات النسيان[96].

وقد تمخضت عن ذاكرة تاج السلطنة ذكريات سردتها بحرقة وحزن شديدين حول رحلات أخاها مظفر الدين شاه وكيف تسببت في الضغط على الناس وفرض الضرائب والاقتراض لجمع الأموال اللازمة لتيسير هذه الرحلات، وكيف تم اهدار هذه الأموال في أمور بلا طائل، فقد أمر الشاه بشراء أشجار عملاقة بمبالغ طائلة وتم شحنها بكلفة عالية جدا من أوروبا ليتم

زراعتها في أرجاء مملكة فارس، بيد ان النسبة الكبرى من هذه الأشجار جفت في الطريق قبل أن تصل المملكة، وتم استيراد انابيب من الحديد لصناعة تمثال ضخم والعديد من الأدوات غير النافعة المتروكة دون اهتمام في فرح آباد بعد صرف الأموال الطائلة على شراءها، وتم انفاق الملايين في اوروبا دون أي نتيجة مثمرة عوضا عن شراء أي قطعة سلاح، فتراكمت الديون على إيران. والأمر الطريف احضار نوع من البودرة التي تسبب الحكة الشديدة، فكان الشاه يبعثر البودرة على فُرُش العمال ونتيجة لاحتكاك الجسم بهذه البودرة يبدأ النائم في التحرك بطريقة مضحكة في الفراش. أما في الرحلة الثانية فتم عقد صفقة لشراء أسلحة وذلك بتوصية وجهود ممتاز السلطنة سفير إيران المقيم في باريس[97].

امتلكت تاج السلطنة ذاكرة ناقدة وحاقدة نحو انتشار الفساد في المملكة فكان ضعف شخصية مظفر الدين شاه السبب الرئيس فيها، وعلى الرغم من صعوبة البحث عن الذكريات المستبعدة لثُقلها على النفس، حفرت تاج بذاكرتها تجارب جارحة وقدمت شهادة تاريخية حين انتقدت بقسوة وريث العرش الجديد أخوها مظفر الدين شاه وعدم أهليته لإدارة الدولة وجهله[98] واقصاءه كل رجالات الدولة واستبدالهم برجال من حاشيته، فقد بات العوبة في يد وزيره الأعظم أمين السلطان، وإذا كان رأس الدولة غارقا في ملذاته ورحلاته، فإن الفساد ينخر في عظم المؤسسات، فانتشرت الرشاوى بين حكام المحافظات ورجالاتهم، وانتقلت إلى الموظفين العاديين فتفشت ظواهر السرقة والقتل، وغيرها الكثير من الجرائم التي لم يعتد عليها المجتمع المسلم، تفاقم هذا الصراع مع التدخلات الأوروبية واقتراض المملكة من الحكومات الأخرى وبيع أجزاء من أرض الوطن كلها أسباب دفعت البلاد نحو الهاوية[99]. وكأن تاج السلطنة أرادت تقديم مفاتيح لتفسير أحداث الماضي[١٠٠].

كثيرة هي الذكريات التي استحضرتها سيرنا عن الدولة وتفشي الفساد فيها، وعن الإصلاحات التي بدأها ناصر الدين شاه. وفي المقابل تمثلت تاج السلطنة نظام الحكم الإداري والمفاسد التي انتشرت في عهدي والدها ناصر الدين شاه وأخيها مظفر الدين شاه. على الرغم من اختلاف زوايا رؤية كل منهما حول أسباب الفساد وسوء النظام فقد التقت تلك الرؤى لتكمل بعضها البعض وتقدم للباحث صورة متكاملة عن نظام الحكم في بلاد فارس خلال نصف قرن من الزمان، تساعد على فهم مجريات الأمور فتكتمل الصور تدريجيا وفي صمت حتى تصل لما آلت إليه الأحداث من قيام الثورة الدستورية ومطالبات الشعب بالحرية والحقوق وإنشاء مجلس يُمثل فيه نواب عن الشعب.

خَاتِمَةٌ

بدأت مذكرات كارلا سيرنا من مدينة رشت وكتبت معظم أحداثها أثناء رحلتها في بلاد فارس وفي محطاتها الأساسية فكانت ذاكرتها وعاء للتاريخ وللوقائع وللأحداث والمواقف، أما تاج السلطنة فقد تعهدت في مذكراتها على تقديم تاريخ حياتها فشكّل المسار الشخصي لتاج بؤرة الأحداث فطغت الذات الراوية عندها، وكانت ذاكرتها صورًا من الصراع وتعابير من القلق، والحزن، والالتباس، والألم.

وقد وفرت هذه المذكرات بما تحويه من تفاصيل دقيقة مادة تاريخية من وجهات نظر مختلفة وزوايا متباينة، بعين امرأتين إحداهما قادمة من الغرب وعصر التنوير والحريات، فدونت في مذكراتها ما يتوقعه القارئ الغربي، والأخرى بعدسة امرأة شرقية عاصرت الحريم وعايشته بكل تفاصيله، وسعت للخروج من بوتقتها فكانت تكتب واضعة نصب عينيها خلفيتها المعرفية. فباتت الذاكرات مكملة لبعضها البعض في أغلب الأحيان وأحيانًا أخرى متعارضة خاصة في التفاصيل، والجزئيات، والمسارات الفردية، والسياسية. وقد ارتقت من السرد الحدثي للوقائع إلى تأويل الأحداث والتحليل التاريخي فتراجع هامش الاختلاف وكاد يختفي عند الرواية عن وضع النساء في البلاط وعن النظام والفساد الإداري[١٠١].

ساهمت هذه المذكرات في استدامة الذاكرة وحفظها من النسيان، بيد أن هناك معيقات قد تأثر في مصداقية تلك الكتابات فمثلا ألزمت سيرنا نفسها الحياد والفصل بين الذات والموضوع فحاولت فصل كل ما يخص الذات لإدراجه في كتاب خاص حول رحلتها الشخصية، وحرصت على إدراج ما يساهم في فتح آفاق جديدة في مذكراتها، بيد أن ذلك دفعها إلى الاختزال والانتقاء أي أنها ربما ذكرت أحداث وأقصت أخرى وفقًا لرهانات الذاكرة وحسب أهميتها للقارئ مما قد يؤثر في الحقيقة التاريخية. وفي الجهة المقابلة فإن الموقع الاجتماعي والنفسي لتاج السلطنة لم يمنعها من تخطي الرقابة والبوح بما ينبغي التذكير به وتخليده، فجسدت تاج السلطة في نواح كثيرة التوترات بين التقاليد والحداثة التي كانت تحول المجتمع الإيراني في عصرها، وفي خضم ذلك غلبتها عاطفتها وغرقت في ذاتيتها، لدرجة أن ذاكرتها لم تستحضر أي ذكرى عن جدتها مهد عليا أو عن عمتها عزت الدولة التي كانت ضحية سياسة البلاط أو حتى عن أخواتها مثل عصمت الدولة. إذا على الباحث الانتباه وتوخي الحيطة فعملية الخلط بين الذاكرة والتاريخ لها محاذيرها.

أخيرًا، كشفت الدراسة عن نجاعة الاستعانة بالمذكرات للباحث في التاريخ الاجتماعي في سياق البحث عن مصادر بديلة، وقدمت لنا طيفا متنوعا من المؤشرات والعناصر التي يمكننا من خلالها التنقيب عن العديد من القضايا والموضوعات، والاتجاهات لبحوث مستقبلية لسد بعض الثغرات في دراسة التاريخ الاجتماعي وتاريخ المرأة والفئات المهمشة.

الإحالات المرجعية:

(١) موريس إيمار، "التاريخ والذاكرة: التركيب والتفكيك وإعادة التركيب"، (ترجمة: بهجت عبد الفتاح)، **مجلة ديوجين**، ع١، ٢٠١، مركز مطبوعات اليونسكو، مصر، ٢٠٠٥، ص. ٧-٨، من http://search.mandumah.com/Record/747366

(٢) جاك لوغوف، **التاريخ والذاكرة**، (ترجمة: جمال شحيد)، ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (سلسلة ترجمان)، بيروت، ٢٠١٧، ص. ١١٦، ١٢٠.

(٣) محمد عبد الله، **سيكولوجية الذاكرة، قضايا واتجاهات حديثة**، سلسلة عالم المعرفة ٢٩٠، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٣، ص١٧.

(٤) إبراهيم بوطالب، "الذاكرة والتاريخ"، **مجلة البحث التاريخي**، ع١، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، ٢٠٠٣، ص. ٩، من http://search.mandumah.com/Record/593830

(٥) عبد الفتاح ايت ادرى، "الذاكرة والتاريخ أية علاقة؟"، **مجلة أنفاس نت من أجل الثقافة و الإنسان**، من https://bit.ly/2EN1gn6

(٦) إبراهيم بوطالب، "الذاكرة والتاريخ".... **مرجع سابق**، ص. ٥.

(٧) حميد هيمة، "الذاكرة بين التاريخ الأكاديمي والتأليف المدرسي : قراءة تحليلية لكتاب" الذاكرة والتاريخ: المغرب خلال الفترة- 1912 1956د .عبد العزيز الطاهري"، **مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الانسانية**، ع ٢٣، المغرب، ٢٠١٨، ص. ٥٧. وانظر: إبراهيم بوطالب، "الذاكرة والتاريخ".... مرجع سابق، ص. ١٨، ٢٦. ودورا شوار ستاين، "التاريخ والذاكرة"، **دورية كان التاريخية**، س٣، ع٨، مؤسسة كان التاريخية، الكويت، ٢٠١٠، ص٧.

(٨) عبد العزيز الطاهري، **الذاكرة والتاريخ – المغرب خلال الفترة الاستعمارية (١٩١٢-١٩٥٦)**، (الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠١٦). ص ٩-١٠.

(9) Jochen Hellbeck, "The Diary between Literature and History: A Historian's Critical Response", *The Russian Review*, Vol. 63, No. 4 (Oct. 2004), pp. 621-629. http://www.jstor.org/stable/3663983

(١٠) فرانكويز فيرت، "التاريخ والثنولوجيا" في **الكتابة التاريخية**، (ترجمة: محمد حبيدة)، (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠١٥). ص. ١٩.

(١١) _____، **الكتابة التاريخية**، (ترجمة: محمد حبيدة)، (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠١٥). ص. ١.

(١٢) جان كلود شميت، "تاريخ الهامشيين"، في: جاك لوغوف، **التاريخ الجديد**، (ترجمة: محمد الطاهر المنصوري)، (مراجعة: عبد الحميد هنية)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤)، ص ٤٣٧-٤٣٨، ٤٧٣.

(١٣) الحريم: جاءت لفظة الحريم من كلمة الحرم وتعني أهل الرجل وما يذود عنه ويحميه، والمقصود هنا المكان المقدس والمصان حرمته والذي يسمح للأفراد المقربين لدخوله كالزوج والأبناء، والأجداد، والأعمام، والأخوال. ولفظة حريم باللغة الفارسية هي "حرمسرا" وبالتركية " حرملك"، وتعني أيضا النساء اللاتي يقطن تلك المنطقة.

(١٤) يتم استخدام مصطلح الدولة هنا للإشارة إلى الأسرة المالكة في بلاد فارس خلال حكم الأسرة القاجارية والطبقات الحاكمة المرتبطة بهذه الأسرة حسب فهم الرعايا في القرن التاسع عشر.

(١٥) ناصر الدين شاه القاجاري (١٨٣١-١٨٩٦) أطول من حكم المملكة الفارسية من أسرة القاجار حيث امتدت فترة حكمه إلى خمسين عاما (١٨٤٧-١٨٩٦)، كان مولعا بالصيد وشغوفا بالرحلات والسفر. ويُعد أول ملك فارسي يقوم بعدة رحلات لأوروبا حيث غادر مملكة فارس ثلاث مرات متوجها إلى أوروبا في رحلات امتدت لشهور طوال تنقل فيها بين العواصم الأوروبية، واُستقبل من قبل ملوكها وأمراءها أحسن استقبال. كانت أول رحلاته عام ١٨٧٣ بهدف التعرّف عن قرب على الحضارة الغربية، وأصول الحياة الحديثة في أوروبا، وقد اشتهر بكتابة مشاهداته وتدوينها في مذكراته.

(16) Penelope Tuson, Western Women Travelling East, 1716-1916, (2014), chapter 6.

(١٧) كارلا سيرنا، **سفرنامه مادام كارلاسرنا آدمها وآيينها در إيران** (مذكرات مادام كارلا سرنا)، (ترجمة: علي أصغر سعيدى)، (تهران: كتابفروشى زوّار، ١٣٦٣ ش، ١٩٨٣م)، ط١. ص. ٢. ٣.

(١٨) جان شاردن Jean Chardin (١٦٤٣-١٧١٣) من أشهر الرحالة الفرنسيين الذين زاروا بلاد فارس عام ١٦٦٦ خلال حكم الأسرة الصفوية، وكتب مشاهداته عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمجتمع الفارسي آنذاك في عشرة مجلات.

(19) Daniele Artoni, "Carla Serena (1824-84): A Solo Western European Woman Traveller and Her Multifaceted Easts", *University of Verona*, (Riga: 5th Euroacademia International Conference, Re-Inventing Eastern Europe, 2016). P2.

(20) Carla Serena, The Kartvelologist Journal of Georgian Studies. on http://kartvelologi.tsu.ge/public/en/arqive/11/.

(٢١) قد يكون لقاء كارلا سيرنا بناصر الدين شاه القاجار حدث خلال مشاركتها في المعرض الثقافي العالمي المقام في فيينا عام ١٨٧٣ خلال رحلة الشاه الأولى لأوروبا، حيث قام الشاه بزيارة للمعرض لتفقد جناح المملكة الفارسية، وتنقل بين الأجنحة الأخرى للتعرف على ثقافات الشعوب وتوقف للتحدث مع المشاركين وبعض الجمهور حسب ما جاء في مذكراته.

(٢٢) ميرزا علي خان، **خاطرات سياسى ميرزاعلى خان امين الدوله**، (تحقيق: حاظ فرمانفرمائيان)، (تهران: مؤسسه انتشارات امير كبير، ١٣٧٠). ص. ١. وانظر كارلا سيرنا، **سفرنامه مادام كارلاسرنا.. مصدر سابق** ص ٨٢.

(٢٣) كارلا سيرنا، **سفرنامه مادام كارلاسرنا.. مصدر سابق**. ص. ١٧.

(٢٤) حميد هيمة، "الذاكرة بين التاريخ.. **مرجع سابق**، ص.٥٨

(٢٥) ذكر اعتماد السلطنة المترجم الخاص للشاه ووزير المطبوعات: آن ذاك، أن ناصر الدين شاه القاجري رزق بابنة لقبت بتاج السلطنة في ليلة الاثنين السادس من ربيع الثاني سنة ١٣٠١ه. انظر: **روزنامهء خاطرات اعتماد السّلطنه - وزير انطباعات در اواخر دورهء ناصرى**، (مقدمه: ايرج افشار)، (تهران: مؤسسة انتشارات امير كبير، ١٣٥٠). ط٢. ص. ٢٧٧.

(٢٦) جاء في مذكرات اعتماد السلطنة أنه في يوم السبت الموافق جمادي الأول سنة ١٣١١ق، عاد الشاه للمدينة لعقد قران كريمته تاج السلطنة على ابن شجاع السلطنة "سردار أكرم". انظر: **روزنامهء خاطرات اعتماد السّلطنه .... مرجع سابق**. ص. ٩٢١.

(٢٧) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات تاج السلطنة (ذكرياتي، يوميات تاج السلطنة)**، (تحقيق: اتحاديه منصوره (نظام مافى)، وسيروس سعدونديان)، (نشر تاريخ إيران، مجموعة ستون واسناد تاريخي، ب. ت). ص. ٣،٤،٨،٣٢

(٢٨) عبد العزيز الطاهري، **الذاكرة والتاريخ... مرجع سابق**. ص. ٣٥-٣٦.

(29) Behrooz Bakhtiari, & Esmaeil Najar, "Zahrā Khānūm Tāj al-Salṭana and Mary Wollstonecraft: A Comparative Study of "Memoirsof Tāj al-Salṭana" and "A Vindication of the Rights of Woman", International Journal of Persian Literature, (Penn State University Press, 2017), Vol. 2, No. 1, pp. 16٥

(٣٠) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق** ص. ١٢.

(٣١) **المصدر نفسه**. ص. ٣،٤،٨،٣٢

(٣٢) **المصدر نفسه**. ص. ٦.

(٣٣) **المصدر نفسه**. ص ٥-٦.

(٣٤) فاتح قدارة، "التأريخ ....." **مرجع سابق**، ص. ٨٢.

(35) Mahdavi, Shireen. "Taj al-Saltaneh, an Emancipated Qajar Princess", *Middle Eastern Studies*, (Taylor & Francis, Ltd., 1987), Vol. 23, No. 2, pp. 188, at http://www.jstor.org/stable/4283171.

(٣٦) محمد عبد الله، **سيكولوجية الذاكرة، قضايا واتجاهات حديثة**، سلسة عالم المعرفة ٢٩. (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٣). ص٩١.

(٣٦) عبد العزيز الطاهري، **الذاكرة والتاريخ... مرجع سابق**. ص. ٤٧ (الذاكرة المستعارة)

(٣٧) كارلا سيرينا، **سفرنامه مادام كارلاسرنا.. مصدر سابق**. ص ٦٣-٧٠.

(٣٨) الإندرون: كلمة فارسية يقصد بها المنطقة أو الجناح المخصص لإقامة الحريم في القصر الملكي والتي لا يسمح لغير المحارم الدخول إليها وتقابلها كلمة حرملك بالتركية.

(٣٩) تصف مدام مارى شيل زوجة السفير الإنجليزي التي عاصرت بدايات حكم ناصر الدين شاه في بلاد فارس في مذكراتها عن نوع وشدة العلاقة الزوجية التي تربط بين الإيرانيين فتستحضر ذاكرتها أحداثا عاصرتها فكانت شاهدة عليها وتقول "كانت الأميرة في كاشان حريصة على تذوق جميع أنواع الأطعمة والمشروبات قبل أن يتناولها زوجها الأمير حتى تحميه من خطر التسمم"، انظر: ليدي شيل، **خاطرات ليدى شيل همسر وزير مختار انگليس (مذكرات الليدي شيل زوجة الوزير البريطاني المنتدب)**، (ترجمة: حسين ابوترابيان). (تهران: نشرنو، ١٣٦٨)، ط١. ص ٢٢٤-٢٢٥. وانظر كارلا سيرنا، **سفرنامه... المصدر نفسه**. ص. ٩٨-٩٩.

(٤٠) يخالف دوستعلي خان معير الممالك (ابن الأميرة عصمت الدولة ابنة ناصر الدين شاه) هذا الرأي فيقول "أغلب المصادر التاريخية تؤكد أن الشاه هو السبب في عزل وقتل الصدر الأعظم أمير كبير، في الواقع لم يكن للشاه أي يد في تلك المؤامرة التي حيكت ضد أمير كبير وقُتل على إثرها، لبحث الأمر والتأكد من حقيقته يمكن للباحث اعادة قراءة يوميات مسيو ريتشارد استاذ اللغة الفرنسة في مدرسة دار الفنون، فقد كان يسجل الوقائع اليومية بدقة وحيادية" انظر: دوستعلي خان معير الممالك، **يادداشتهايى از زندكانى خصوصى ناصر الدين شاه**، مجموعه ى متون واسناد تاريخي كتاب

نهم (ملاحظات من حياة ناصر الدين الخاصة)، (تهران: نشر تاريخ إيران تهران، ١٣٦١)، ص. ١١-١٢.

(٤١) ليدي شيل، **خاطرات...مصدر سابق** ص ٢٢٧. وانظر كارلا سيرينا، **سفرنامه... مصدر سابق.** ص. ١٠١.

(٤٢) كارلا سيرينا، **سفرنامه... مصدر سابق،** ص. ١٠٢-١٠١.

(٤٣) قمر السلطنة زوجة الصدر الأعظم ميرزا حسين خان، وهي ابنة فتحعلي شاه جد ناصر الدين شاه القاجاري، وعمته الكبرى. وفتحعلي شاه هو الحاكم الثاني في الدولة القاجارية بعد آقا محمد خان، اعتلى العرش عام١٧٩٧، وحكم لمدة ٣٧ عام، وتوفي عام ١٨٣٤ تاركا من خلفه مئات من البنين والبنات.

(٤٤) كارلا سيرينا، **سفرنامه... مصدر سابق.** ص. ١١٠-١٠٩.

(٤٥) **المصدر نفسه،** ص. ١٢٠، ١٥١.

(٤٦) **المصدر نفسه ،** ص. ٢٢٤-٢٢٧.

(٤٧) **المصدر نفسه ،** ص. ٧٤، ٧٧-٧٨.

(٤٨) **المصدر نفسه ،** ص. ٦٨.

(٤٩) **المصدر نفسه ،** ص. ٢٤٨، ٢٨١.

(٥٠) **المصدر نفسه ،** ص. ٢٤٧-٢٤٩، ٢٦٠.

(٥١) **المصدر نفسه ،** ص. ١١٠، ١٣٠، ٢٠٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٧٦.

(٥٢) **المصدر نفسه ،** ص. ٢٩٨-٣٠٠.

(٥٣) بول ريكور، **الذاكرة، التاريخ، النسيان،** (ترجمة: جورج زيناتي)، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩)، ص ٥٩٤.

(٥٤) كارلا سيرينا، **سفرنامه... مصدر سابق.** ص.٧-١٠.

(٥٥) بول ريكور، الذاكرة... **مرجع سابق،** ص. ٥٦.

(٥٦) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات ... مصدر سابق.** ص. ٣٥، ٣٨-٤٠.

(٥٧) **المصدر نفسه ،** ص. ٨٦-٩٠.

(٥٨) **المصدر نفسه ،** ص. ٦٩-٩٩، ١١١-١٢٣.

(٥٩) Behrooz Bakhtiari, & Esmaeil Najar, "Zahrā Khānūm ...." *Ibid.* P. 163.

(٦٠) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات ... مصدر سابق.** ص. 15-14

(٦١) **المصدر نفسه ،** ص. ١٣، ٧٩.

(٦٢) لعبة لاسكنة: لعبة اعتادت نساء القاجار ممارستها في منطقة الحريم خلال حفلات الضيافة وأثناء اللقاءات للتسلية، وكانت عبارة عن مجموعة من الأقنعة والوجوه الملونة والمضحكة المصنوعة من نوع من الورق المقوى، تلبسه النساء ويقمن ببعض الأدوار التمثيلية لإشاعة البهجة في الأجواء والتسلية والمرح للترفيه عن ذواتهن.

(٦٣) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مرجع سابق** ص. ١٩ و ص. ٣٢.

(٦٤) **المصدر نفسه ،** ص. ٩٨.

(٦٥) منصوره پيرنيا، دختران ايران، **سالار زنان جهان: سرگذشت زن ايرانى از آغاز تا به امروز،** انتشارات مهر ايران، واشنطن، ٢٠١٦، ص. ٣٠.

(٦٦) قُتل ناصر الدين شاه في اليوم التالي (٢ مايو ١٨٩٦) اثناء زيارته لضريح الشاه عبد العظيم على يد ميرزا رضا كرماني أحد أتباع جمال الدين الأفغاني.

(٦٧) يؤكد معير الممالك شدة علاقة هذه السيدة بزوجها، فبعد وفاة الشاه أحضروا لأنيس الدولة بعض القطع النقدية منقوشة عليها صورة ناصر الدين شاه، فشعرت بحزن عميق واحتضنت النقود وهي تبكي بحرقة، ومرضت بعدها لعدة شهور ثم لحقت بزوجها الشاه. انظر: دوستعلي خان معير الممالك، **يادداشتهايى از زندكانى خصوصى ناصر الدين شاه،** مجموعه ى متون واسناد تاريخي كتاب نهم (ملاحظات من حياة ناصر الدين الخاصة)، (تهران: نشر تاريخ إيران تهران، ١٣٦١) ص. ١٧. وانظر: تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق** ص. ٣٥، ٥٨.

(٦٨) أحب ناصرالدين شاه القاجاري قطة كانت تحتفظ بها زوجته جيران، وبعد وفاة زوجته انتقل اهتمامه للقطة التي كانت تذكره بها، وبات للقطة شأن عظيم في البلاط وعين لها مربية وخادم وانتشرت صورها في أنحاء القصر لدرجة أنها أثارت غيرة وحقد زوجات الشاه؛ نظرا للوقت الذي كان يقضيه برفقتها وتفضيل صحبتها عليهن. فتآمر الحريم وتكاتفوا ودبروا مكيدة مع أحد الخواجات في القصر للتخلص من القطة، التي رُميت في قعر بئر في القصر وتم ردمه فلم يصل إليه أحد. وبعد أن فشل أعوان الشاه في إيجاد القطة اغتم الشاه كثيرا وبدأ تدريجيا الاهتمام بالصبي ملجيك الذي كان يرافق القطة فبات رفيقه في كل مكان، هذه الحوادث حدثت قبل ولادة تاج السلطنة واستعارتها من ذاكرة مربيتها. وقد وصف أمين الدولة هذه العلاقة الغريبة بين الشاه والصبي بعد اختفاء القطة "مازال الشاه مرتبطا بهذا الصبي بشدة بعد فقدان القطة". انظر: ميرزا علي خان. **خاطرات سياسى ميرزاعلى خان امين الدوله،** (تحقيق: حاظ فرمانفرمائيان)، (تهران: مؤسسه انتشارات امير كبير، ١٣٧٠). ص١٠٣. وانظر: تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق،** ص ١٥-١٨.

(٦٩) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق** ص. ١٥، ٣٠.

(٧٠) أكد معير الممالك هذه الأحداث فيقول: "من عادة الشاه حين يود كتابة المراسلات والقرارات السياسية والإدارية خاصة ما يتعلق بعزل أحد رجالات الدولة، أن يأمر أحد زوجاته من الدرجة الثانية بالجلوس بقربه واشعال الضوء له أثناء تحرير تلك الرسائل، وكان يختار منهن من لا تجيد القراءة، بيد أن الواقع أن أغلب النساء يخفين معرفتهن بالقراءة ومنهن من كانت تعمل لصالح بعض رجال الدولة وفي نقل الأخبار. وقد تكون احدى تلك التغييرات في المناصب التي أعلن الشاه أنه بصدد القيام بها بعد الاحتفالية هي السبب باغتياله"، دوستعلي خان معير الممالك، .... **مصدر سابق،** ص١٥٣. وانظر: تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق** ص. ٥٠.

(٧١) إبراهيم بوطالب، "الذاكرة والتاريخ".... **مرجع سابق،** ص. ١٦.

(٧٢) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق** ص.١١٤-١١٥.

(٧٣) جان كلود شميت، "تاريخ الهامشيين"... **مرجع سابق،** ص. ٤٣٩.

(٧٤) عبد الحكيم الزاوي، "في تاريخ الهامش والمهمش من أجل دمقرطة من لا تاريخ لهم"، **مجلة ليكسوس،** ع١١ (٢٠١٧)، ص ١٥٩.

(٧٥) اوژن اوبن، **إيران امروز ١٩٠٦-١٩٠٧ إيران وبين النهرين (إيران اليوم)،** ترجمة علي أصغر سعيدي، (إيران امروز – ١٣٦٢)، ط١، ص ٣٤١.

(٧٦) كارلا سيرينا، **سفرنامه ... مصدر سابق.** ص30-29

(٧٧) حدث بعض اللبس في المفهوم لدى مدام سيرنا فالدرويش عندها هو كل فقير وصاحب حاجة، بيد أن الدرويش في اللغة الفارسية ليس بالضرورة الفقير الذي لا يجد قوت يومه فيقصد به أيضا الصوفي وللمفهوم عدة دلالات أخرى. كارلا سيرينا، **سفرنامه... المصدر نفسه.** ص. ٧٠-٦٩.

(٧٨) صنفت سيرنا الدراويش إلى فئتين الأولى هم الفقراء الذين يلفون على البيوت ويسكنون المدينة ويحترفون التنجيم، وعاهدوا أنفسهم بعدم الزواج والاستمرار في حياة العزوبية؛ حتى يظلوا

طاهرين ومنزهين. والفئة الثانية فهم يتزوجون ولديهم حريم ويعيشون من بركة الصدقات والخيرات. كارلا سيينا، **سفرنامه... مصدر سابق**، ص. ١٤٨-١٤٥.

(٧٩) **المصدر نفسه**، ص. ١٥١-١٤٧.

(٨٠) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق** ص ١٤.

(٨١) **المصدر نفسه**، ص.٩.

(٨٢) كارلا سيرينا، **سفرنامه ... مصدر سابق**. ص٨٥

(٨٣) **المصدر نفسه**، ص ٨٥-٨٦.

(٨٤) تُعد مذكرات سيرنا من اهم المصادر التاريخية التي ذكرت تفاصيل هذا الحدث، بل تكاد تكون الوحيدة حسب شهادة مؤرخي تلك الحقبة. **المصدر نفسه** ص١٩٤-١٩٥. وقد وردت هذه الأخبار في مذكرات معاصرة انظر: عبد الله مستوفى. **شرح زندگانى من (تاريخ اجتماعي وادارى دورهء قاجاريه از سلطنت مظفر الدين شاه تا قراداد وثوق الدوله با انگليس)**، (تهران: انتشارات زوّار، ١٣٤١) ج١. ص.٦٩ و ص. ٧٥.

(٨٥) كارلا سيرينا، **سفرنامه ... مصدر سابق**. ص٨٨-٩٢.

(٨٦) **المصدر نفسه**، ص ٩٣.

(٨٧) **المصدر نفسه**، ص .١٢٠-١٢١.

(٨٨) **المصدر نفسه**، ص ٣١.

(٨٩) **المصدر نفسه**، ص١٢٤-١٢٦.

(٩٠) روى كلمنت ماركام وهو جغرافي بريطاني متخصص في تاريخ السياسة وجغرافيا إيران وأفغانستان ومناطق آسيا المركزية، عن الإصلاحات التي قام بها الصدر الأعظم أمير كبير، وكيف تم عزله عن منصبه وصدور أمر بقتله، لتتقاطع الرواية مع ما سردته كارلا سيرنا في مذكراتها. انظر: كلمنت ماركام، (ترجمة: ميرزا فرزانة)، **تاريخ ايران در دوره قاجار**. (ب. م. فرهنگ ايران، ١٣٦٧)، ط٢، ص. ١٤٥.

(٩١) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق**، ص ٢٨، .٧-٦٩.

(٩٢) بول ريكور، الذاكرة... **مرجع سابق**، ص١٥.

(٩٣) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق**، ص .٦-٦١.

(٩٤) محمد عبد الله، **سيكولوجية....، مرجع سابق، ص ٩٦.**

(٩٥) تعلق الشاه بالقطة والصبي الملقب بملجيك وزواجه من أخت زوجته كلها وقائع وردت في مصادر معاصرة بيد أن تاج قدمت تفاصيل دقيقة وكلما زادت الوقائع الجزئية التفصيلية زادت نسبة الصدق فيها. انظر: ميرزا علي خان. **خاطرات**... **مصدر سابق**، ص١٧٩. وتاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق** ص. ١٧-١٥، ٤٧-٤٥.

(٩٦) مريس إيمار، "التاريخ والذاكرة...."، مرجع سابق، ٩.

(٩٧) تاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق**، ص. ٤٧-٤٨.

(٩٨) استندت تاج على عدة براهين لإثبات عدم قدرة مظفر الدين شاه على إدارة شؤون البلاد مثل طرده لكل موظفي الدولة واستبداله بأتباعه غير المؤهلين لتلك المناصب، والتغييرات في الوزارة على أهون سبب، باستثناء الصدر الأعظم الذي استبقاه وسلمه أمور البلاد ولقبه بالأتابك. وقد وردت هذه الأنباء في مصادر معاصرة انظر: عبد الله مستوفى، **شرح زندگانى ..... مصدر سابق**، ص. ١٧،١٥،١٤،١٠.

(٩٩) تقاطعت رواية حادثة قتل الشاه التي روتها تاج السلطنة مع ما ورد في عدد من المصادر المعاصرة، بيد أن أصابع الاتهام نحو الصدر الأعظم والحجج التي عززت بها تاج السلطنة هذا الاتهام لم ترد بنفس الدقة والتفاصيل، وعلى وجه التحديد علاقة الصدر الأعظم بإحدى حريم الشاه والتي كانت مصدر معلوماته، قد يكون تحليل تاج للأمور صحيحا فقد عايشت الأحداث من داخل البلاط وما أتيح لها لم يتح لغيرها. انظر: عبد الله مستوفى، **شرح زندگانى ... مصدر سابق**، ص. ١٧،١٥،١٤،١٠. وتاج السلطنة قاجار، **خاطرات... مصدر سابق**، ص. ٩٧-٧٨، ١٠١،١٠٦.

(١٠٠) دورا شوار ستاين، "التاريخ والذاكرة" ... **مرجع سابق**، ص٧.

(١٠١) عبد العزيز الطاهري، **الذاكرة والتاريخ... مرجع سابق**. ص. ٣٦٥-٣٧٨.